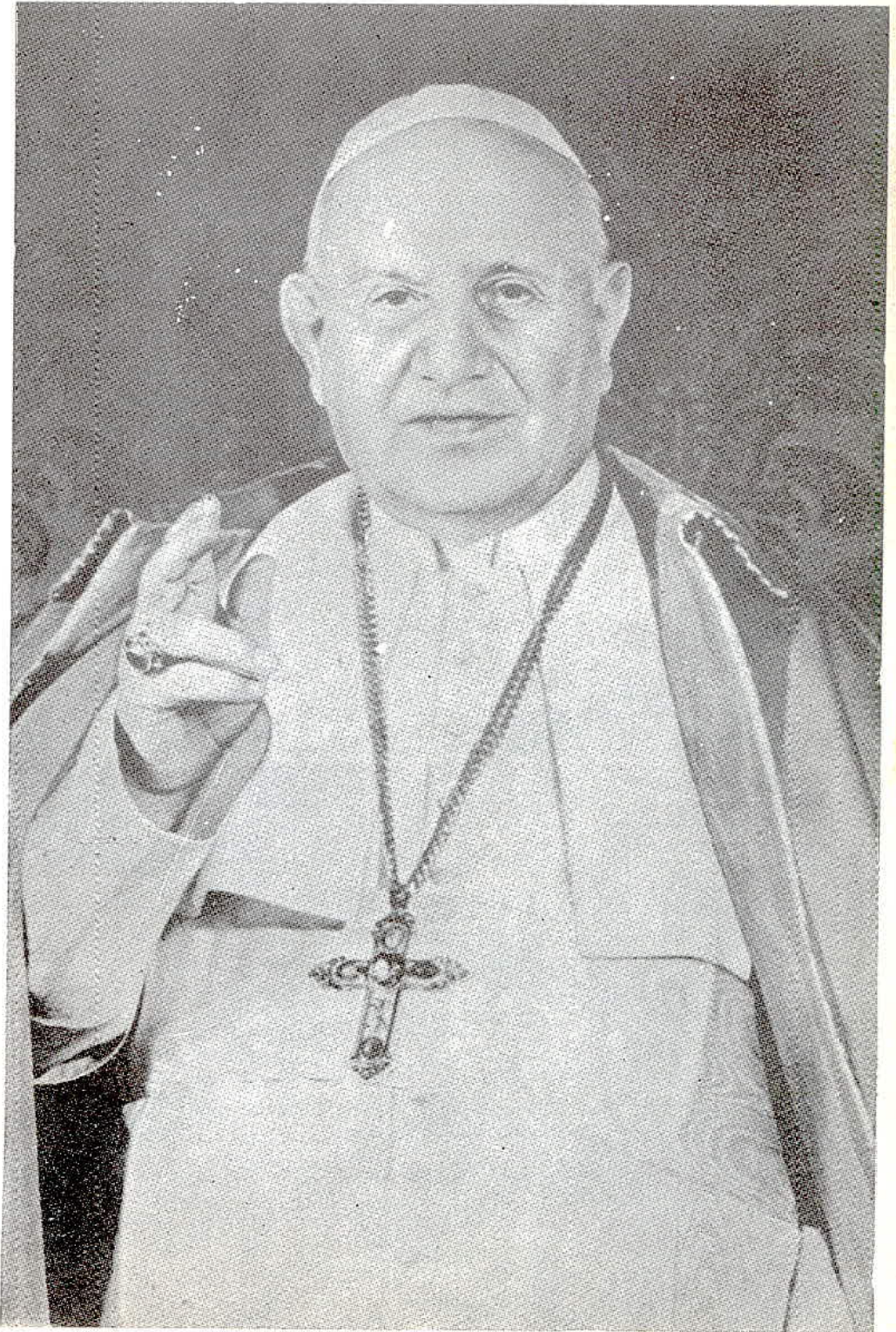


# الرسالة المختصّة

## في هذا المقدر:

هذا الباب الاعجوبة  
متى يستريح العالم؟  
المواطن المسؤول  
ثلاثة ايام ( قصة )  
حيّ وعالم المشاهدة  
هل نحن في طريق الوحدة؟  
التمييز العنصري في ميزان العلم والواقع  
الارض الحمراء ( قصة )  
حصار بلقنا  
اسطورة عليون وزوجه واولاده  
اصول الثقافة البشرية  
آثار دير القمر  
شعر  
بابا السلام والوحدة في ذمة الله



مات ، وكالحُر المنطلق يستحيل علينا  
تحديده ؛

انقرط ابن الارض ، وما انقرطت  
الآمال التي بثَّها ؛

انظفأ شيخ المفاجآت ، وما انظفأت  
المفاجآت التي فجرها .

لن نشبع أثره - وعند كل محب أثره  
لاستجلاء ماضي حبيبه - فنلقه بالابصار في  
السنوات الثماني والسبعين التي لم يكن فيها  
لنا . حسبنا منه استجلاء بعض خطوط  
لصورته منذ وُلد لنا ، منذ اصبح من  
عالمنا ، من عالم العالم كله .

منذ اصبح طفل عالمنا ، طفل عالم العالم  
في الثامن والسبعين من عمره .

يهددنا الدوار اذا ما جرؤنا ان نقفز  
خمس سنوات الى الوراء - والراحل مات  
ليعودنا التطلع الى الامام - هي في حصيلتها  
للتاريخ اكثر خصباً من خمسة قرون .

لخمس سنوات خلت ،

بيننا وجم المسيحيون في العالم متسائلين  
اهي « ارادة الله المريدة » ام هي « ارادة  
الله السامحة » ، التي رفعت « رونكالي » الى  
السدة البابوية ؛

بيننا سخر التاريخيون العقلانيون مبصرين

هذا

البابا

الاعجوبة

بقلم الدكتور

الاب بشاره صارجي

المخلصي

•

في انتخاب الشيخ برهاناً جديداً لما يفكرونه في الكنيسة العجوز؛

بينما وقف المعسكر الغربي حائراً من لاوعي الاحبار في انتخايمهم «فضة مشكل»، في تلك الفترة التاريخية بالذات التي فيها كان يتساءل الغرب عن طرق ايجابية للوقوف في وجه زحف الشرق؛ حدثت المفاجأة، ان لم نقل الاعجوبة.

كان ابن الارض، الذي لوت هامته السنون، يشق طريقه الى القلوب بسرعة برق السماء، اذ بدا شيخ المفاجآت، يعتلج في روحه الملايين من الممكنات.

هذا الفلاح الذي عاش مع الارض ام الحياة اكثر منه مع الآلة او القانون او الفكر، والذي ادرك ان الارض، حتى الجافة منها موطىء الاقدام، تنطوي على الوف من الحيوات المنتظرة قطرة المطر واسعة الشمس، لتنتقل الى النور الواناً وجماليات؛

هذا المزارع الذي وعى ان اول من يبشر بالربيع هي زهور الحقل الصغيرة وليس بواسق الاشجار؛

كان على يقين ان كل قلب بشري ينطوي على طاقات من الخير اوسع من ان يستوعبها عقل؛ وان الطريق الوحيدة الى القلوب هي الاعمال الطيبة، بنوع خاص الصغيرة المتواضعة، لان وراء كل من تلك الاعمال الصغيرة ملاكاً كما يقول برنانوس.

وفي الواقع كانت اطلالة ذلك الشيخ على العالم ربيعاً.

فالمسيحيون الذين راحوا يأخذون على ديانتهم عبوديتها، لنظم اضفت عليها صبغة الجود في عالم سريع الحركة،

منفتح الى ابعد من اجواء الارض ، ايقنوا من جديد ،  
اذ سمعوا صوت من تذوق الله ، ان المسيحية ليست  
عبادة الاله المنعزل ، بل هي ديانة الاله المتأنس .  
فيوحنا الثالث والعشرون اسرع في نقل الكنيسة من  
ازلية المبدأ الى تاريخية الحياة ، ومن افلاطونية الجوهر  
المجرد الى غنى الوجود المتفجر .

والتاريخيون العقلانيون الذين انبروا ينعنون الكنيسة  
الكاثوليكية بكل الوان الرجعية ، قضاوا الاعجاب من  
ذلك الشيخ الذي فبجر الطاقات ، او على الاقل اطلق  
ها المجال ، فبرهن انه بامكان الكنيسة ان تعطي  
الكثير الكثير .

وللغرب كما للشرق ، اكّد ان كل حلّ معسكريّ  
للانسان يبوء بالفشل لا محالة ، لأن خلاص الانسان في  
اللامتناهي ، ولو مدّ الله بحياة يوحنا الثالث والعشرين ،  
لما استغربت ان تحمل الينا الانباء يوماً خبر مؤتمر اقطاب  
ينعقد عنده .

ولكن ، انظفاً شيخ المفاجآت الذي اعاد الى العالم شباباً .  
فبينما يذهب منه الى الارض ما هو ارضي ؟  
وينقلت منه الى السماء ما هو سماوي ؟  
يبقى في ذمة التاريخ ما هو تاريخي .  
والتاريخ اكثر امانة من الافراد .

ترفع الرسالة المخلصية الى السلطة الكنسية  
الموقرة ، والى جميع الناس ذوي الارادة الحسنة  
المحبة للسلام ، أحرّ تعازيها ، لوفاة قداسة البابا  
يوحنا الثالث والعشرين ، رسول السلام والمحبة  
والوحدة ، داعية الى الله الراحة لنفسه الزكية ،  
وللكنيسة رجالاً فديسين يكملون عمله .

# الرسالة المخلصية

ايار - حزيران

السنة ٣٠

العددان ٥ و ٦

تصدر عن دير المخلص

قرب صيدا - لبنان

١٩٦٣

لو تيسر لعالم اليوم شاعر محلّق  
كدانتي، وراح يضرب في الارض شرقاً  
وغرباً، لما كان استهلّ ملحمة إلا كما  
استهلّها شاعر الكوميديا الالهية، حين طرق  
ابواب الجحيم وقال: « في منتصف طريق  
حياتنا، وجدت نفسي في غابة مظلمة،  
اذ ضلت سواء السبيل... » .

فكأن انسانية اليوم افضت لا الى  
منتصف الطريق، بل الى مفترق طرق...  
وكأنها انسانية بكر وُضعت امام اختبار  
واختيار، لتتحوّل اما الى الحياة واما الى  
الموت، ولتحمّل اجيال المستقبل وزرها، كما  
حملنا نحن وزرها من جراء مأساة الفردوس .

على ان مأساة اليوم هي غيرها بالامس،  
ومن راح يؤثّم ابونا الأولين ويلقي على  
كاهلها تبعة شقاء العالم، عليه اليوم نفس  
المسؤولية، اذا لم يبادر الى درء الخطر

وجه العالم

متى يسريع

العالم؟

الندب سمان نصر ب.م.  
مدير الرسالة المخلصية

وسدّ الثأمة ... كل يحمل اليوم مفتاح الخطر ، والتبعة  
متقاسمة متكافأة ، وما لم تتضافر كل قوى العالم لحل  
مشكلاته الكبرى ، لا أمل ولا خلاص لانسانية ارسلت  
نداء الاستغاثة .

لا اظن ان قارة واحدة من قارات الارض لا تعاني  
مشكلة كأداء ، فضلاً عن مشكلات صغرى داخل كل  
دولة ، تقيم حكايها وتقدمهم ، وعن توتر علاقات بين  
الدول الجارات ، ينقل ميدان الكفاح الى الخارج ويترك  
الداخل طعمة الفوضى والحراب .

تعاني القارة الاميركية مشكلة اختلال في القوى  
والثروات ، تكاد تقلب هيكلها وتطيح بكيانها . ولا  
يغب عن بالنائم تعمل القوى الشيوعية في سبيل احداث  
تغيرات داخل هذا الهيكل المتداعي ، لتنفذ منه الى الصميم .

واوروبا ، سيدة أمس وباعثة الحضارة الحديثة ، تشكو  
عقدة نفسانية محرجة تجاه جبارين اخذا يتقاسمان العالم في  
غنية عنها . فهل تكون نهايتها نهاية تلك الضفدعة التي  
حاوات التشبه بالثور ، ام نهاية كل ثالث يتدخل بين  
متخاصمين ، فتكالم له الضربات من الجهتين ويكون  
الحاسر الاكبر ؟ !

اما آسيا فداؤها التضخم في كل خلايا واعضاء  
الجسم ما عدا القلب . تحتضن آسيا اكثر من نصف  
سكان العالم ، بينما ثرواتها الحاصلة لا تقي بنصف المطلوب .  
وتعتمد الاساليب الشيوعية والديمقراطية الى ايجاد حل  
لمشكلة الجوع فيها ، ولكن عبثاً ، اذ ما زال الجوع  
باسطاً شبهه عليها ، والتخلف منتشرأ في ربوعها . وما  
يزيد الطين بلئاً عرقلة المساعي وتضارب المصالح بين

مختلف الأساليب ، بحيث يقف احدها عقبة في نجاح تجربة الآخر ، فستفتق الصين كل يوم لتجد نفسها جائعة ، فتكلم الافواه لكي لا يسمع العالم الحر استغاثتها ، بينما تجد الهند نفسها مخيرة بين الاحتلال والجوع ، وكلاهما مرّ مخيف ، وذلك لان الصين لا ترضى ان ترى جارتها تسير في طريق التقدم بالحرية والديمقراطية ، بينما هي اخفقت وتحلفت عنها .

وافريقيا ، هذه القارة الشابة ، نراها في تردد وتلمس ، تجاه الوضع الذي ستعمده لاستقرارها وازدهارها . عمدت دول منها الى التجربة الشيوعية ففشلت واخفقت ، وبقي غيرها ممسكاً بيد المستعمر القديم كصديق جديد ، فنجح بعض الشيء ، بينما البقية راحت تتلمس طريقها وسط التيار الحياضي المزيف ، فهل تطول تجربتها ؟

اما شرقنا العزيز ، فلا يزال يعاني اعنف الازمات والقلقل . ومن يتتبع تاريخه الطويل ، يعجب للخط المنتظم الذي يجمع بين مختلف عصوره وتطوراته . فانه كان مسرحاً لفتوحات وانقسامات وتقلبات شبه دائمة ، بحيث مسخت وجهه الحقيقي وعفت آثاره الأصلية .

تجاه هذا الوضع المحموم ، المنذر بأهول العواقب ، ماذا عسانا نتصور من حلول واعتبارات ! هل البشرية اليوم على طريق الشفاء والعافية ؟

يتهمب المطلعون الاجابة على هذا السؤال ، لان المسيطرين على مقدرات الشعوب ، اخذوا يشعرون بثقل العبء وبنوؤن تحته . ويكفي شبح الجوع وحده ليقض مضاجع المسؤولين ، خصوصاً في السنوات القليلة القادمة . هذا اذا وضعنا جانباً قضية الحرب القديمة

الحديثة ابدآ ، والتي ذقنا من هولها الأمرين ولا نزال .  
هل يهتدي العلماء الى طاقة جديدة تفجّر لهم ما  
يؤمنون به اشباع البطون الكثيرة الخاوية ؟ ليس هذا  
التقدير ببعيد الامكانية .

اما الحرب فهل بمكنة العالم تجنبها بالوسائل التي يعتمدها  
اليوم ، اي بالتسلح وتعادل القوى ؟ !

هنا الأمر المقعد المقيم ، فليس من الطبيعي ان تدوم  
هذه الحالة ، وانما تذكرنا بتلك الحرافة القائلة بارتكاز  
الارض على قرن الثور ، ففي كل ساعة يمكن ان يجرّك  
الثور رأسه لترتجّ الارض وتخرّب .

ولن تقوى الدول الكبرى على الخروج من هذا  
المأزق ، ما زالت تعتمد اساليب ملتوية ، وهي اساليب  
النفعية والسيطرة والاستغلال .

اما اساليب العنصرية والقومية والتعصية فليست بذات  
جدوى في عالم ملّ الانقسامات والعداوات ، وما التكتلات  
التي تبرز الى الوجود هنا وهناك ، وتمخض بها مناطق  
وقارات ، سوى مظهر لها ، تعمل على ازدياد التوتر  
والتنافر ، فيما اريد بها الازدهار والاتحاد .

هل يخرج العالم من التوائه ليقفأ عين الشك وينظر  
ببساطة الى واقع جليّ ! هل يسمع صوت من دعا  
الى السلام بكل قلبه وروحه ، ليفتح للعالم سبيل  
الاستقرار والراحة !

البابا يوحنا الثالث والعشرون ، رسّخ السلام على  
قواعد ثلاث ، هي المحبة والمساواة والايمان ، لا يقوم  
السلام على غيرها ، مهما تحذلق المدّعون وتشدّق المتهوسون .

ولعلّ دعوة قداسته الى دعم مجلس الامن الدولي ،  
وتحويل الامم المتحدة المقدرة على حلّ مشكلات العالم ،  
خير وسيلة لرفع السلام من ايديّ متسلطة متجبرة ،  
ووضعه في ايدي الانسانية جمعاء ، الانسانية الواحدة  
بالحبة والايمن .

ولا اريد ان انهي هذه السطور إلاّ بكلمات امل  
ورجاء وايمن بالانسان وبالانسانية . وهي كلمات عالم  
اميركي آمن كالأب تيلار دي شاردان ، بمستقبل الانسانية  
الصاعد ، فقال في آخر مقالة له :

« لقد حسبوني بسيط العقل لكوني ابقيت في قلبي  
على بعض ايمن بالانسان . اما جوايي ، فهو ان الخليقة  
الاولى ، حين راحت في فجر الانسانية المظلم تتلعم  
بتلفظ كلمات الحبة والعطف ، قد اثارت حول النار  
قهقهات الضحك الساخر . إلاّ ان بعض الافراد انصتوا  
اليها وحفظوها ، لكون تلك الكلمات وصلت اليها . »

الحمد لله اننا ما زلنا نعرف هذه الكلمات ، بقي  
ان لا نتركها في القاموس فقط ، بل ندجها في  
روحنا وحياتنا .

ترجو الادارة عذر قرائها الكرام لصدور  
هذا العدد المزدوج عن شهري ايار وحزيران ،  
وذلك لاسباب مطبعية اضطرارية .

## المواطن المسؤول

نتيجة وعي الشعوب وفئات الشعوب وطبقاتها ، ونتيجة التوسع العالمي والتسابق الى الافضل والانفع في خدمة الانسان ، بحيث اصبح مصير كل امة او فرد رهناً بفاعلية الحلول التي نوجدها لكل من هذه المشكلات .

وكل مشكلة تطلب حلاً تضعنا كل ساعة امام اختيار . وكل اختيار يفرض تضحية ، وكل تضحية هدر لقيمة من قيم الوجود ، من

هي حلقة من سلسلة محاضرات ألقيت في زحلة بين ٢١ و ٢٨ نيسان الماضي ، بمناسبة اسبوع التربية المدنية ، الذي نظمته حلقة الدراسات التوجيهية باشراف محافظ البقاع الاستاذ نصري سلهب .

والمحاضر الاستاذ طرييه هو رئيس المحكمة البدائية في زحلة .

سيداتي وسادتي :

لعل افدح مفارقات مواطنيتنا اللبنانية اليوم ، ومنذ عشرين عاماً ، اي منذ الاستقلال وحتى اليوم ، فقدان التوازن بين ما يترتب علينا من مسؤوليات كمواطنين وبين شعورنا بهذه المسؤوليات واضطلاعنا بها على الوجه الافضل .

وفقدان التوازن هذا سبب كل ما نعانيه من امراض في مجتمعنا ، وهو ما يجعل الاخطار المحيطة بنا فادحة الى حد تهدد معه مؤسساتنا وبالتالي مصيرنا .

لقد ضاقت رقعة الكون وتشابكت مصالح الامم ، بحيث اصبح مصير كل شعب او فرد رهناً بكل حدث خطير يطرأ هنا او هنالك .. في برلين او كوبا او اللاوس .. ولقد تعقدت مشكلات الحياة

شيطان الدنيا منائر معرفة وعلم  
وهدى . واضطلع شعبنا كله بهذه  
الرسالة ، وتحمل كل فرد منه  
تبعثها ، فكانت لنا اول ديمقراطية  
في التاريخ تتلمذت لها كل ديمقراطيات  
العالم القديم والحديث .

وفي اعظم حقبات التاريخ ، يوم  
كان الليل العثماني الكثيف يلف  
اصقاع هذا الشرق بالجهل والتخلف ،  
وعينا ايضاً كشعب مسؤولية الرسالة  
التي انتدبنا لها منذ الازل ، فكانت  
رقعتنا الصغيرة الواحة الوارفة في  
الصحراء الكبرى والمنارة المشعة في  
الليل الطويل البهيم .

واليوم في غمرة هذه الاحداث  
التي تتعاقب وتتدافع عندنا وحولنا ،  
وفي تصارع التيارات الفكرية الحضارية  
والسياسية والروحية التي تتجاذب  
الكون ، وهم بتغيير وجهه ودفعه  
الى المصير المجهول ، نرانا نقف  
مكتوفي الايدي حيارى ، لا نجرؤ  
على اختيار ولا نتطلع الى هدف ،  
كأننا افلت من يدينا قياد الامور  
وفقدنا المبادرة فكندا نصبح هملاً  
تلعب بنا صدف الاقدار .

صحيح ان المعضلات التي تواجهها  
مجتمعات هذا النصف الثاني من

اجل قيمة اخرى تبدو افضل واجدى ،  
وكل هدر لقيمة وتمسك باخرى  
يصنفنا على الصعيد الانساني ويصبغنا  
باللون الذي يظهرنا امام العالم اجمل  
او اقبح ، اسى او ادنى ، اشرق  
او اظلم .

تجاه كل من هذه العقد  
والمعضلات ، تبدو اهمية مسؤوليتنا  
وتتراءى خطورة النتائج المترتبة  
على اختيارنا .

ومع هذا يلاحظ المراقب المتطلع  
اننا بسداجة الطفل وحق النعامة  
نواجه مسؤولياتنا ونتصرف ، كأن  
الهرب من المشكلة بجلها ، او  
كأن لا يد لنا في الحلول ، ننتظر  
ان تفرض علينا من عل او من  
خارج ، حتى اذا ما اخفقت طفقنا  
نبكي ونتذمر كالاطفال .

على اننا ما كنا في امسنا القريب  
ولا البعيد تواقين . منذ فجر  
التاريخ ونحن في هذه الرقعة الضيقة  
من العالم ، نلعب لعبة المصائر  
الكبرى . يوم كانت المغامرة موتاً  
محتوماً ما تركنا مجهولاً الا وقرعنا  
بابه . وفي عالم كان بعد عند  
اول استفاقة على التاريخ ، انتدبنا  
نفوسنا لرسالة ، كان بعضها زرع

ويقتر بفقره ، واصبحت مصلحة الفرد مرتبطة اشد الارتباط بمصلحة الجماعة ، لا الجماعة القبلية او الوطنية او الاقليمية فحسب ، بل الجماعة الانسانية بكاملها .

انسان اليوم مدعو اكثر من اي يوم آخر الى تحمل المسؤولية الجماعية التي تقع على عاتقه هو ، كما تقع على عاتق كل واحد من الجماعة .

وان ما يعيننا في هذا الحديث بنوع خاص هو مسؤوليتنا على مستوى الجماعة الوطنية ، مسؤوليتنا كمواطنين ، مسؤولية العقل فينا ومسؤولية الارادة .

ونعني بالعقل المسؤول لا العقل المدرك فحسب - العقل المنفعل كما يقول الفلاسفة - بل العقل المتبصر الخلاق المندفع صعداً نحو الابد والاسمى ، العقل الذي لا ينظر الى الامور مكتفياً باكتناه واقعها واستعادة ذكرى غايرها ، بل منطلقاً من هذا الواقع وذلك الماضي راسماً اهداف الغد مصمماً له ومخططاً تصميماً يستبق الاحداث فيطغى عليها ويضع حلولاً ، لا لما يعرض اليوم ، بل لما قد يعرض في الغد القريب والبعيد .

القرن العشرين باتت من الخطورة والضخامة ، بحيث اصبح من العسير مواجهتها والتغلب على صعابها ، الا ان خطوره الكبرى ليست خطورة الاحداث بقدر ما هي عندنا خطورة استضعاف النفس والاستسلام القدرى ، وتنازل العقل والارادة عن تحمل تبعه تخطيط وتنفيذ العمل الجليل الذي هو بمستوى الاحداث .

ان تهرب العقل والارادة عن تحمل التبعات هو افدح ما يمكن ان يبتلئ به فرد او شعب . ذلك ان التخلي عن المسؤولية يعني الانقياد والتبعية ، وبالتالي فقدان الحرية والكرامة اللتين هما الانسان . وبقدر ما يتحسس المرء معضلات وجوده ودوره الفعال في حل هذه المعضلات ، يكتمل فيه نمو انسانيته وتألقها .

وانسان العصر النائر المضطرب الذي نعيشه ، على اي صعيد استوى ، يجد نفسه مدعواً الى تحمل تبعه ، ومطالباً بالبلوغ الى هدف يتجاوز حدود مصالحه الصغيرة وانانيته الضيقة ، ذلك ان مفهوم المصلحة والانانية قد تغير فلم يعد الأنا كياناً نامياً بذاته مستقلاً بها ، انما اصبح حصيلة تفاعل مستمر بينه وبين السوى ، يغتنى بغناه

وان يكون تعبيرنا عن هذه القيم من القوة والصلوة ، بحيث يشعر كل كبير في الارض ان اي اذى يلحق بنا يصيبه هو في اعز ما يصبو اليه ويتوق .

وهنا تبرز مسؤوليتنا كمواطنين ، مسؤولية كل منا ، في تشييد لبنان هيكلاً لمقدسات الانسانية المحترمة ، مسؤولية كل منا حمل مشعل هذه المقدسات والشهادة لها امام ضمير العالم . ان الصليب الذي حمله واحد من بلادنا ، وطاف به اوربا ونطح به كل جدار للبغي والجور والعار ، افعل في حماية لبنان من الف معاهدة . وان جائزة تعطى في عاصمة المدينة باريس باسم لبنان لصانع اروع تحفة تشهد لقيم الخير والجمال والحق ، اجدى لقرض بقاء لبنان من عطف الف سفير .

ان نفكر كلنا ونضمم ونخطط من اجل جعل هذا البلد الصغير واجب الوجود ، يهتز كل ضمير في العالم اذا ما هدهد شرّاً ، كأن جداراً من قدس الاقداس يتصدع ، هو العمل الذي يسأل عنه كل مواطن منا ، وكل ما عدا ذلك من مشاكلنا ومتاعبنا باطل وقبض ريح .

ان كل مواطن منا مدعو كل ساعة الى مثل هذا التبصر المسؤول ، واننا كشعب مدعوون اليوم لا غداً الى تركيز اهداف سيرنا ، ورسم معالم الطريق اليها ، ووضع المخططات والتصاميم استباقاً وتحسباً لما قد يطرأ عندنا وحوادثنا من احداث . وفي رأبي المتواضع انه لا بد اول الامر من الانطلاق من ملاحظتين :

الاولى : اننا شعب صغير بعدده ورقعة ارضه ، الا ان ما يور وجودنا ليس ان نصبح اكثر او اكبر بل اعمق واشمخ . في العالم اليوم كبيران وكل ما عداهما مهما كبر يبقى صغيراً . ان ما يور وجودنا هو بالضبط ما برر استمرارنا عبر آلاف السنين من التاريخ المضطرب ، هو مقدرتنا على التعبير عن قيم حضارة ومثل انسانية وعلى الشهادة لهذه القيم والمثل ، تعبيراً وشهادة يفرضان على العالم احترام بقائنا .

والملاحظة الثانية : ان حماية مصيرنا لن تكون ولا يجدر بكرامتنا ان تكون وليدة شفقة الغير وعطفه ، انما ينبغي ان تكون شهادتنا لقيم الخير والحق والجمال ،

به من أجل جعل هذه المؤسسات اروع طموحاً واجدى فعالية .  
 من نعم الله علينا، ايها السادة ،  
 اننا في بلد ارتضى الديمقراطية نظام  
 حكم له ، فكان بذلك اميناً على  
 التراث العريق ، تراث سيدون  
 وقرطاجة ، وكان بذلك شاهداً في  
 هذا الشرق للقيمة الكبرى من قيم  
 الحضارة الا وهي الحرية . الا ان  
 الديمقراطية تفقد كل معناها وتصبح  
 اطاراً للفوضى والتخلف ، اذا لم  
 يتحسس كل مواطن مسؤوليته عن  
 انجاحها والاستفادة من مجالات العمل  
 التي تفسحها . النظام الديمقراطي مهما  
 قيل عن فساد تطبيقاته هنا او هناك ،  
 يبقى ، من حيث الفكرة والمبدأ ،  
 النظام الامثل للحكم والحك الدقيق  
 لتحضر الشعوب . هو النظام الامثل  
 لانه يعطي كل فرد من افراد  
 الشعب ان يكون مسؤولاً عن  
 مصير بلاده ، فيشعر المواطن بأنه  
 قيمة لا رغب وبأنه فاعل لا متقبل .  
 وهو النظام المحك لانه يعطي الشعوب  
 الحكم الذي تستحقه . فهو المرآة  
 الصادقة يظهر فيها وعي الشعب او  
 عماءه ، رقيه او تأخره ، كما يظهر  
 فيه هل ان الشعب خليق بالحرية  
 والحياة الكريمة الطامحة المتطورة ام لا ؟

ان نضم ونخطط كي نجعل هذا  
 الوطن الصغير بين الاوطان ذلك  
 المؤمن الكبير على قيم الحضارة ،  
 ليس من شأنه فقط فرض بقاءه  
 ووجوده على السوى ، بل ومن شأنه  
 قبل كل شيء شد ابصارنا جميعاً اليه فلا  
 يبقى واحد منا يتطلع عبر حدوده  
 شرقاً او غرباً بشوق وامل ولهفة .  
 والوصول بلبنا اننا الى هذا المستوى  
 الحضاري الذي يطمح اليه ابي  
 الملمهين فينا رؤى يجعل كل واحد  
 منا فخوراً بالولاء له ، فلا يفتش  
 خارجه عن ولاء ، ويضع كلاً منا  
 امام اختيار بين هوى مهوس ومصحة  
 راهنة ، فلا يتردد بالاختيار ويجعل  
 كلاً منا حريصاً على بقاء النعمة ،  
 ليبقى هو متقيماً ظلها متنعماً بخيراتها .  
 عن الوصول الى تجسيد هذا الحلم  
 واقعاً حياً ، كل مواطن منا مسؤول  
 مهما كانت امكانياته وحدود طاقاته  
 ومجالات نشاطه . كل مواطن منا  
 مسؤول شخصياً عن الحجر الذي  
 يضيفه الى البناء البهي الشامخ ،  
 مسؤول كمنخطط وكمنفذ ، مسؤول  
 عن طموح مؤسسات الحكم في بلده  
 وصلاح هذه المؤسسات ، كما هو مسؤول  
 عن العمل الصغير المتواضع الذي يقوم

شوهاء وبعض مؤسساتنا العامة خربة ومصالحنا الحياتية تدار بحنفة ان لم تنهب او تهدر . ويستصرخنا ان لا تكون الدولة عناية الله ترعى كل شيء وتنفذ الى كل شيء وتقلب كعصا الساحر كل شيء . وبيكيننا ان نرى الدولة ترتجل احياناً ولا تصمم ، تجبو ولا تقفز ، تتصارع مع الصغار وتنهك قواها في معالجة التوافه ، كأنها تعيش لليوم الذي هي فيه .

بوجعنا وبستصرخنا وبيكيننا كل هذا فنشور ، واذا ثورتنا حديث لهو وتندر في ناد او مقال في جريدة او خطبة في حشد . وينتهي الحديث وتدفع المقالة الى الطبع وتنتهي الخطبة بتصفيق ، ويعود كل منا وكأنه فرج عن كربته وقضى واجبه للعلى . اما يوم نعطي مرة كل اربعة اعوام او اقل ان نحمل بأيدينا الى الحكم من سيسترع القوانين ويصلح المؤسسات ويوجه الدولة الى اهدافها الكبرى وينفخ فيها الطموح ، نروح نتلهم بأحقادنا الحقيرة وحزازاتنا السخيفة البلهاء ومنافعنا الآنية التافهة ، فنواجه مسؤوليتنا الكبرى بحنفة وطيش مجرمين . وينتهي يوم الانتخاب لنعود الى الشكوى والتذمر اربع سنوات

وبقاء النظام الديمقراطي في بلد او زواله دليل على ان الشعب رأى صورته في المرآة فاعجبته ، فزاد ايماناً بنفسه ، او رأى صورته فاستهجنها واستجبها ، وبدلاً من ان يجمل وجهه القبيح حطم المرآة . وانه لمن المؤسف والمخجل حقاً ان يكون الكثيرون عندنا قد فكروا اكثر من مرة عندما طالعتهم صورة وجههم ان يحطموا المرآة .

مع انه اذا كان للشعب في كل نظام من انظمة الحكم المعروفة في العالم ان يتذمر ، فليس لشعب اعطي فرصة اختيار حكامه القيمين على مؤسساته ، الراعين مصالحه ، المخططين لمستقبله ، ان يشكو .

فاذا شكوا وتذمر تتردد شكواه عليه ، لانه لم يعرف ان يتاجر التجارة الراجحة بالوزنات التي اوتمن عليها . لا اظن شعباً في الدنيا يتقن التظلم والنقد بقدر ما نتقنهما نحن في هذا البلد .

نحن كالطفل المدلل نعرف ما لا نريد ، ولكننا لم نبرهن مرة واحدة اننا نعرف ما نريد واننا نعرف كيف نريد .

بوجعنا ان نرى بعض قوانيننا

الديمقراطية الا شعبنا . ففي « النيبال » تجري الانتخابات على اساس الاحزاب . في حين انها لا تزال تجري عندنا على اساس الافراد ، الذين ما برزوا على مسرح الحياة العامة إلا لان تقادير النسب او الثروة او غير ذلك ، قد فرضتهم على الناس مرشحي حكام ومشرعين .

ولا تنتهي مسؤولية المواطن عند اختيار من يتولون شؤون الوطن العامة . فالمواطنة الحققة ، كالدين ، التزام كامل لكامل قوى الروح والجسد ، انها تقرض ان تكون اعمالنا جميعاً على تنوعها في خدمة القيم التي نريد ان يجسدها الوطن ويحمل رسالتها . وكل عمل يمكن ان يكون خدمة لقيمة من قيم الحياة والحضارة . وكل مواطن يمكن ان يكون جندياً لمثل هذه الخدمة . فالعالم مسؤول عن جعل وطنه اكثر علماً ، والمهندس مسؤول عن جعله اكثر عمراناً ، والقاضي مسؤول عن جعله اكثر عدلاً ، والطبيب اكثر عافية ، والسائق اكثر رعاية للنظام ، والكناس اكثر نظافة ، والفنان اكثر جمالاً . وكل مواطن مسؤول عن جعل بلاده اكثر فضيلة و اكثر احتراماً للقانون . ذلك ان الخدمة العامة ليست وفقاً

طوال ، يكون خلالها - وزمننا هذا يركض بسرعة الصواريخ - قد فاتنا قطار المدنية لاربعين سنة . من غير القلة الضئيلة منا يا سادتي يدرك وهو يدفع بورقة الاقتراع انه يلعب ورقة المصير بالنسبة الى وطنه وامته ؟

ومن منا يتصرف بوحى هذا الادراك ويعود الى بيته وقد ارتاح ضميره الى حسن الاختيار ؟

الا ان الاختيار هذا لا يفي بكل مسؤوليتنا كمواطنين ، اذا لم يسبقه تحضير واع وكامل قد يستغرق لا السنوات الاربع وحدها بل جهد العمر كله .

ومرحلة التحضير الطويلة هذه تتناول تركيز مفاهيمها السياسية على القيم التي نريد لبلادنا ان تكون هيكلها والشاهد لها . وتتناول تجميع قوانا الفردية المبعثرة حول هذه المفاهيم ، ومن ثم العمل على ايصال اقوى المعبرين عن هذه المفاهيم الى الحكم ، واجدرهم تحملاً لتبعاته وابعدهم نظراً واكثرهم تحمساً بمسؤولية القيادة والتوجيه والتنظيم .

ولتجمع الارادات الفردية حول الاهداف المشتركة الواحدة اهمية ادركتها كل الشعوب التي مارست وتمارس الحياة

نعتقد في قرارة نفسنا عن خطأ اكيد ، اننا نحن شيء والدولة شيء آخر ، ان الدولة غريبة عنا متسلطة علينا ، ان بيننا وبينها جداراً او هاوية .

عقلية هي بقية من فضلات التاريخ المعقنة لا تزال بها نعالج شؤوننا العامة . ننتقد باسم العلم والحرية والمبادئ التقدمية ، ونعمل بعقلية ابناء الولايات العثمانية المغلوبة على امرها المفروضة عليها نظم ليست لها .

هذا الازدواج في شخصية المواطن اللبناني السياسية هو نتيجة فقدان التوازن ، الذي اثمرت اليه في مستهل هذا الحديث ، بين ما يترتب علينا من مسؤولية ، وهو جسيم ، وبين اضطلاعنا بهذه المسؤولية وهو ضئيل .

نتهرب من تحمل التبعة فنلقي بأوزارنا على الغير . « النقد سهل اما الفن فعسير » يقول بوالو . نحن في هذا البلد نسلك الطريق الهين ، الطريق النازل ، طريق المثل الادنى . ذلك لاننا جبناء لا نجرؤ على مسّ الاحمال بطرف اصابعنا ، ونتذمر اذا هي لم تحمل وتنقل . ولاننا نخاف من الدخول في الباب الضيق مع ان الباب الضيق هو باب السماء .

على الحاكمين والموظفين . هي واجب كل مواطن ، فاذا ت لكأ اختل نظام الحكم ولو كان الحكم من الملائكة .

ومن المؤسف اننا في لبنان اقل الشعوب المتمدنة شعوراً بمسؤوليتنا الفردية عن صلاح الدولة واستقامة الحكم . فنحن اكثر الناس تهرباً من دفع الضريبة مثلاً ، ونحن في الوقت عينه اكثر الناس مطالبة للدولة بالانفاق . ونحن من الشعوب المتمدنة القليلة في العالم التي تعتبر سرقة مال الدولة شطارة ، واكثرنا شطارة هو اكثرنا « حوقلة » - كما يقول الاستاذ سعيد عقل - حول خزانة الدولة .

تري من الاكثر مسؤولية ، عما نشكو من فساد في اجهزة الدولة ، الفاسد ام المفسد ؟ نشكو الضعف في تطبيق القانون ونخالف القانون ، كأنه لا يعنيننا الا كمتفرجين ، كمنظارة السينما . كان آباؤنا يقولون عن الامور الملتوية « عوجا من اسطنبول » ، اين اسطنبول اليوم ؟

اسطنبول نحن والذين اخترناهم بملء ارادتنا ليكونوا سلاطين وولاة . العوج نحن مصدره ونحن فاعلوه ، الا اننا بحفة ولامبالاة لا نزال

## قصة العمدة

بقلم

انطوان معلوف

### ثلاثة ايام

#### اليوم الاول

أحسَّ عينيها على وجهه . وتبدى له ان المهم ، واختفاء زوجها لم يطفئنا روعة عينيها ، فلا عجب ان يشتهيها الرجال . ونادته باسمه . كان صوتها حنوناً . وأهاج حنان صوتها في عينيه دموعاً . ودنت منه على مهل ، يحمل قدميها اليه اجنحة السنونو الآتية من الجنوب . وما هو إلا ان انسكب على وجهه لهاثها ؛ ثم يدها . ونادته ثانية ، فأبقى عينيه معلقتين . ثم تنهدت ، وابتعدت عنه . وحين أغلقت الباب ، نهضت مرارة قلبه الى دموع عينيه ، تجسبها .

ونفض من فراشه . ولمح في المرآة وجهه ، فدنا منها . وجهه أسمر ، في لون ورق التبغ ؛ في لون وجه أبيه الشارد عن بيته ، وراء البحر . ما كسب من امه ؟ زرقة عينيها ، واعتزال الناس . ولكن أمه بدأت تحن الى الناس . منذ أيام تبدل لون عينيها ؛ فما عاد يقرأ فيها حنوها عليه ، وحده ، بل حنوها على سواه . امس أتى

بيته ، مع المساء ، وقرع بابه ، وانتظر ان تفتحه ، فيقبل اليها يقبلها ، ويداعبها ، ويحدثها على العيد . ثم قرع الباب ، ثانية . وانتظرها ، عبثاً . وخفق قلبه ، وهوت قبضة يده على الباب تكاد تحطمه . ثم اقتعد عتبة البيت ، والقى رأسه الى كفيه ، حزيناً . وانغمض عينيه فأحسّ بالارض تقف عن جريها . وتراءى له بدء وعيه الحياة ، وطفولته ، وشبابه ، عواميد في هيكل ، تمر بها الريح ، فتهدمها . ثم تعصف الريح بالمدينة حوله فتسحقها ثم تجعلها غباراً في الفضاء يبده الليل . وتبدى له ان امه كذب ، وان الناس كذب ، وانه وحده يحمل عبء الأرض . ومرّ به بعض الناس ، ظلالاً ، فلم يلتفتوه ... ثم افاقه من وحدته هدير سيارة تقف في الشارع ، ثم انغلاق بابها . ثم أطلقت امه عليه ...

وها هي تعود الآن فتدنو من غرفته . ويخفق قلبه .

- ما بك ؟

فجأه صوتها ، فخفض رأسه يحدّق الى الارض . وعزّ عليه ان ينظر اليها ، فتقرأ مرارة قلبه في عينيه .

- تعال نشرب القهوة ...

ولحق بها . جلسا في بهو البيت ، صامتين . كان يحب الصمت اذا اجتمع بأمه . كان صمتاً يملأه الكلام ، والحنان . ولكنه الآن تبدّل الى صمت يملأه الكذب ، والغضب . وتهدت امه ، فالتفت اليها . وأمسكت عيناها بعينيه . كان في عينيها كلمات غريبة عنهما ، التبتت عليه ، فلم يقرأها .

- ما بك ؟

ونفضت تدنو منه . وامسكت بوجهه ، تقبله . وضحكت .  
 وحين ضحكت تبدد بعض الغضب من البهو ، وعبق  
 صمته ببعض الحنان . وأحس فجأة أنه يقسو على أمه .  
 - لم تتناول عشاءك ، أمس . فطورك على المائدة . هلمّ ...

وعلى مائدة الطعام ، بدت أمه مرحة . كان مرحها  
 صادقاً ، فلم يثقل عليه . ولكن الصمت عاد ، فجأة ،  
 فهبط على المائدة ، وعلى قلبه . وخالط طعامه فعكّر  
 مذاقه ، وجعله مُراً . ورغب عن الطعام ، وألقى رأسه  
 الى كفيه . وماج اليه صوت أمه ، جديداً عليه ، فكأنه  
 يستمعه للمرة الاولى :

- لم أتم الليل ، أمس . رأيتك على عتبة البيت ،  
 وحيداً ، فاختلج قلبي . وكلمتك فلم تكلمني . ثم نهضت  
 الى غرفتك . ذكرني انصرافك عني ، أمس ، بأبيك .  
 كان ابوك يأتي من عمله ، في بعض الأيام ، فلا يكلمني .  
 ثم ينهض الى فراشه ، وينام باكراً .

وتهدت . ثم أتاه صوتها ، حاراً :

- يثقل على المرأة ان يصمت رجلها . وعندما يأتي  
 اليها ، بعد غياب النهار ، تشتاق ان تكلمه . فهي في  
 نهارها مرّ بها احداث ، وكل حدث جعلت عليه كلاماً  
 خبأته وراء لسانها ، فاذا اتى رجلها ، أطلقتته . وبأويلها  
 اذا اتى الرجل ، صامتاً ، فلم يكلمها . لا يزعجها صمته ،  
 بل لسانها ...

وقهقهت ، وعلا مرحها . ونظر اليها ، فتصنعت الجد .

- كان ابوك ، بعض الايام ، يدخل البيت ، جاداً ،

ولا يكلمني . فأذهب الى المطبخ ، ويغلي الكلام خلف لساني ، فأطلقه على الصحن ، والملاعق .

وابتسم . ورأى انها ارتاحت الى ابتسامه . وهدر كلامها في اذنيه ، مرحاً :

- ثم أسعده يقول : ما العشاء ؟

- العشاء مثل الغداء ...

ويهمهم :

- فاصوليا ...

وضحكت ، فضحك . كانت امه اذا تحدثت حديث ابيه تخفض صوتها ، تقلد به اصوات الرجال :

- شبت من الفاصوليا . هاتي شاي ، وزبدة ...

وعندما يجلس الى المائدة ، يتحرك لساني ، فما ان أبدأ بكلمة حتى يمدجني ، غضباً . وأصمت ...

وصمتت . ثم همست في جد ، وهدوء :

- أبوك طيب القلب ...

ونفضت عن المائدة ... وعاد الصمت . ولكنه عاد

يحمل أباه . هو يجهل أباه ، ولكنه حين يتمثله ، يتمثله

قوي الجسد ، أسمر الوجه . يتمثله جذع سنديان ، في

عينيه مهابة ، وجلال . يراه في صورة الزفاف شاباً ،

كث الشعر ، يتأبط ذراع أمه ، جاداً ، عالي الرأس ،

على جبينه أثر جرح عتيق ...

ونفضت عن المائدة . وغسل وجهه ، وحين دنا من

المرأة ، حدثت الى عينيه . وابتسمت عيناه في المرأة ،

وهمس يكلم وجهه :

- انت سيء الظن !

ثم لسعه خاطر جال في رأسه :

— ولكنها لم تحدثني على غيابها عن البيت ، أمس .  
أين كانت ؟ منذ أيام تغيب عن البيت ، ولا تذكر  
لي سبب غيابها . تكلمت اليوم كثيراً على ابي . أليس  
أنها تهزأ به ؟

وحدق الى عينيه في المرآة فأطلّ منها حيرة ، وعذاب .  
وهمس بكلم وجهه :

— عليك ان تتصرف الى عمل . أنت مجنون ...

وقرع باب البيت ، فأسرع اليه يفتحه ، فقد يكون  
قرعه صديق ينسى في لقائه أله . وكان على الباب جدته .  
وابتسمت له ، وحدق الى عينها ، فكان في عينها جد ،  
ورغبة في كلام كثير .

— ابن امك ؟

— أدخلي ...

وأقبلت أمه . وتبادلت المرأتان النظر ، والجدّة . ودخلتا  
البهو ، واغلقتا الباب دون أن تكلماه . وطال الهمس بينهما ...

وبعد أن ذهبت جدته ، أقبلت امه اليه . وفجأة  
أنها انتعلت حذاءها ، وارتدت ثوباً جديداً ، وحملت  
حقيبة في يدها . ونظر الى وجهها . كان وجهها صامتاً ،  
عليه قسوة ، وجلال :

— انا ذاهبة ، ولا اطيل الغياب ...

وانطلقت الى الباب ، تعبره ...

وحين عادت الى البيت ، عند الظهر ، كان في عينها

عياء ، ولون فرح ، ولون حزن . وانصرفت الى المطبخ .  
وبعد قليل سمع تمتتها . واختلس خطاه نحوها . كانت  
تحديق الى آنية الطعام ، أمامها ، جامدة . ثم انطلق من  
فمها غناء . كان غناء هامساً ، باكياً ، نسيم ربيع يبيله  
اواخر الشتاء . كان زجلاً تخاطب به امرأة من الجبال  
رجلاً ، قاسي العين ، نجبه . ولكنه انصرف عنها الى  
المدن . وها هي تهتف بالتجار ، الجوالين في الارض ،  
تهيب بهم ان يبحثوا عنه ، فاذا رأوه فليلوموه في رفق ،  
وليدكروه بصية ، من الجبال ، تنتظر عودته اليها ؛  
احتبست في بيت أبيها فلا تكلم الرجال ، ولا تكحل  
عينها ، ولا تصبغ يديها بالحِنَّاء . ثيابها سود ، وقلبا  
اكتف سواداً من ثيابها . وليقولوا له انه لن يلقى امرأة  
في النساء تمنحه حنانها ، وان نساء المدن يحذقن الكذب  
على الرجال . وليقولوا له ان السنديانة في ساحة الدار  
كادت تذبل ، فسقتها دموع عينها ؛ وان ناظر الكروم  
يامحها وحدها صاعدة الى كرم أبيها ، فيأتيها بعناقيد  
العنب ، فتصدّه . وليقولوا له ان صبا المرأة ايام سرعان  
ما تذبل ، مثل اوراق الدوالي اذا مرَّ بها هواء الشمال .  
وليقولوا له انه ان لم يعد اليها عاجلاً ، على جناح الطير ،  
فلا بد من ان تمتد اليها يد رجل ، فيقطعها ؛ فاذا عاد  
متعياً من كذب النساء الغريبات ، وجدها في بيت  
رجل ، سواه ، و...

وغصَّ صوتها بالدمع ، فصمتت . والتفتت وراءها  
فجأة ، فاحمرَّ وجهها حين لمحتة . واهاج دمع عينها حنوّه  
عليها ، فدنا منها ، فضمَّته بين ذراعيها تمس له :

— انت رجلي الوحيد . كن رجلاً . اجتهد في عمالك ،

واكسب مالاً حتى ازوجك ، وافرح بك ...  
وسألها :

- ما بك ؟ تبكين ...

ومسحت يديها دمعها :

- لا ابكي ...

وألحَّ عليها بالسؤال :

- ما بك ؟ منذ أيام ...

ورفعت يدها تضعها على فمه :

- دعنا من الايام ... غداً ...

وصمتت . وسألها :

- غداً ؟

وهمست له ، جادة :

- غداً ...

وخفق قلبه . وتصنَّع الغضب :

- ماذا في غدٍ ؟ قولي . صمتك يمزقني . ما بك ؟

وانتفضت ، وقالت له على عجل ، وقسوة :

- لا شيء ... دعني !

ولسعه قسوتها ، وانطلق اليها كلامه ، عجبلاً ، رهيباً ،

جرح لسانه ، وقلبه ، وأوقف جري الارض ، والناس :

- ادعك ... انت امرأة ، وانا رجل ! لك حياتك ،

ولي حياتي .

وانصرف عنها ؛ وهتفت به :

- وليد ...

وما أحسن إلا أنه فتح الباب . ثم انطلق الى

الشارع ، تقوده خطاه ...

( يتبعه اليوم الثاني في عدد مقبل )

## هيّ وعالم المشاهدة

انتهى حيّ بن يقظان ، في آخر المطاف الى  
عالم الغيب والمشاهدة .

ما رأيك في المشاهدات التي ينسبها اليه  
ابن طفيل ؟

وهل يمكنك أن تستنتج منها مذهب  
الفيلسوف المغربي في الوجود ؟

### مقدمة<sup>(١)</sup>

فنيّ حيّ عن ذاته وعن جميع الذوات ، ولم يرَ في الوجود إلاّ الواحد  
الحيّ القيّوم<sup>(٢)</sup> . شاهد ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر  
على قلب بشر .

(١) حيّ بن يقظان : ص ١١٤ - ١١٥

(٢) القائم بنفسه لا بغيره ، والمدبر القائم على كل شيء .

من رام التعبير عن تلك الحال فقد رام مستحيلاً . وهو بمنزلة من يريد أن يذوق الألوان المصبوغة ، من حيث هي ألوان ، ويطلب أن يكون السواد مثلاً حلواً أو حامضاً .

لكننا ، مع ذلك ، لا نخلِّيك عن إشارات نوميء بها الى ما شاهده حيّ من عجائب ذلك المقام ، على سبيل ضرب المثل ، لا على سبيل قرع الباب بالحقيقة ، إذ لا سبيل الى التحقيق بما في ذلك المقام إلاّ بالوصول إليه . فإن المجال ضيق ، والتحكّم بالألفاظ ، على أمر ليس من شأنه أن يلفظ به ، خطر .



### (٣) مشاهدات حي

لا وحدة ولا كثرة - عندما أفاق حيّ من حاله تلك ، التي هي شبيهة بالسكر ، خطر بباله أنه لا ذات له يغيّر بها ذات الحق ، وأن حقيقة ذاته هي ذات الحق . بل ليس ثمّ شيء إلاّ ذات الحق . إن ذلك بمنزلة نور الشمس الذي يقع على الأجسام الكثيفة ، فتراه يظهر فيها . فإنه ، وإن نسب الى الجسم الذي ظهر فيه ، فليس هو في الحقيقة شيئاً سوى نور الشمس . وإن زال ذلك الجسم ، زال نوره ، وبقي نور الشمس بحاله لم ينقص عند حضور ذلك الجسم ولم يزد عند مغيبه .

تقوىّ عنده هذا الظن بما كان قد بان له من أن ذات الحق ، عزّ وجلّ ، لا تتكثّر ، وأن علمه بذاته هو ذاته بعينها . فلزم عنده (٤) من هذا أن الذي حصل عنده العلم بذاته ، فقد حصلت عنده ذاته . وقد كان حصل عنده (٥) العلم ، فحصلت عنده الذات . وهذه الذات لا تحصل إلاّ عند ذاتها ، فإذا هو (٦) الذات بعينها .

(٣) حي بن يقظان : ص ١١٥ - ١٢٠

(٤ و ٥) عند حيّ .

(٦) أي حيّ .

كذلك جميع الذوات المفارقة للمادة ، العارفة بتلك الذات الحقة ، صارت عنده بهذا الظن شيئاً واحداً .

كادت هذه الشبهة ترسخ في نفسه ، لولا أن تداركه الله برحمته وتلافاه بهدأته . علم أن هذه الشبهة إنما ثارت عنده من بقايا ظلمة الأجسام وكدورة المحسوسات . فإن الكثير والقليل ، والواحد والوحدة ، والجمع والاجتماع والافتراق ، هي كلها من صفات الأجسام . والذوات المفارقة العارفة بذات الحق ، لبراعتها عن المادة ، لا يجب أن يقال إنها كثيرة ولا واحدة : الكثرة إنما هي مغايرة الذوات بعضها لبعض ، والوحدة لا تكون إلا بالاتصال ، ولا يفهم شيء من ذلك إلا في المعاني المركبة المتلبسة بالمادة .

غير أن العبارة ، في هذا الموضع ، تضيق جداً . إن عبّرتَ عن تلك الذوات المفارقة بصيغة الجمع ، حسب لفظنا هذا (٧) ، أوهمَ ذلك معنى الكثرة فيها ، وهي بريئة عن الكثرة . وإن أنت عبّرت بصيغة الأفراد ، أوهمَ ذلك معنى الاتحاد ، وهو مستحيل عليها .

بقي حيّ في ذلك متردداً ، ولم يمكنه أن يقطع بأحد الوصفين دون الآخر .

**ذوات الأفلاك** - إن كنت ممن يقتنع بهذا النوع من التلويح والإشارة إلى ما في العالم الإلهي ، ولا تحمّل ألفاظنا من المعاني على ما جرت العادة بها في تحميلها إياه ، فنحن نزيدك شيئاً مما شاهده حيّ بن يقظان في مقام الصدق الذي تقدّم ذكره .

بعد الاستغراق الحض ، والفناء التام ، وحقيقة الوصول ، شاهد الفلك الأعلى الذي لا جسم له . رأى ذاتاً بريئة عن المادة ، ليست هي ذات الواحد الحق ، ولا هي نفس الفلك ، ولا هي غيرهما : كأنها صورة الشمس التي تظهر في مرآة من المرايا الصقيلة ، فإنها ليست هي الشمس ، ولا المرآة ، ولا هي غيرهما .

(٧) أي قوله « الذوات المفارقة » .

شاهد أيضاً للفلك الذي يليه ، وهو فلك الكواكب الثابتة ، ذاتاً بريئة عن المادة ليست هي ذات الحق ، ولا ذات الفلك الأعلى ولا نفسه ، ولا هي غيرها : كأنها صورة الشمس التي تظهر في مرآة قد انعكست إليها الصورة من مرآة أخرى مقابلة للشمس .

شاهد أيضاً للفلك الذي يلي هذا وهو فلك زحل ، ولكل فلك ، ذاتاً مفارقة للمادة ليست هي شيئاً من الذوات التي قبلها ، ولا هي غيرها : كأنها صورة الشمس التي تنعكس ، من مرآة على مرآة ، على رتب مرتبة بحسب ترتيب الأفلاك .

لكل ذات من هذه الذوات ، من الكمال والبهاء والحسن ، ما يعظم عن أن يوصف بلسان . ولها من اللذة والسرور والغبطة والفرح ، بمشاهدة ذات الحق ، ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

انتهى حيّ الى عالم الكون والفساد ، وهو جميعه حشو فلك القمر . فرأى له (٨) ذاتاً بريئة عن المادة ليست شيئاً من الذوات التي شاهدها قبلها ، ولا هي سواها . لهذه الذات سبعون ألف وجه ، في كل وجه سبعون ألف فم ، في كل فم سبعون ألف لسان يسبح بها ذات الواحد الحق ويقدها ويمجدها لا يفتر . وكان هذه الذات صورة الشمس التي تظهر في ماء متوجرج قد انعكست إليها الصورة من آخر المرايا التي انتهى إليها الانعكاس ، على الترتيب المتقدم ، من المرآة الاولى التي قابلت الشمس بعينها .

**ذوات البشر - شاهد حيّ لنفسه ذاتاً مفارقة ، لو جاز أن تتبع بعض ذات السبعين ألف وجه ، لقلنا إنها بعضها . ولولا أن هذه الذات حدث بعد أن لم تكن ، لقلنا إنها هي . ولولا اختصاصها ببدنه ، عند حدوثه ، لقلنا إنها لم تحدث .**

وشاهد ، في هذه الرتبة ، ذواتاً مثل ذاته لأجسام كانت ثم اضمحلت ،

(٨) لفلك القمر .

ولأجسام لم تزل معه في الوجود<sup>(٩)</sup> . وهي من الكثرة في حدّ بحيث لا تتناهى إن جاز أن يقال لها كثيرة ، أو هي كلها متّحدة إن جاز أن يقال لها واحدة . رأى لذاته وتلك الذوات التي في رتبته ، من الحسن والبهاء واللذة غير المتناهية ، ما لا يصفه الواصفون ولا يعقله إلاّ الواصلون العارفون .

وشاهد ذواتاً كثيرة مفارقة للمادة<sup>(١٠)</sup> كأنها مرايا صدئة وان<sup>(١١)</sup> عليها الحُبث ، وهي مع ذلك مستديرة<sup>(١٢)</sup> للمرآيا الصقيلة التي ارتسمت فيها الشمس ومولّية عنها بوجوهها . لهذه الذوات ، من القبح والنقص ، ما لم يقم قط بباله . وهي في آلام لا تنقضي وحسرات لا تنمحي ، احاط بها سرادق العذاب ، وأحرقتها نار الحجاب ، ونُشرت بمناشير بين الانزعاج والانجذاب<sup>(١٣)</sup> .

وشاهد هنا ذواتاً سوى هذه المعذّبة ، تلوح ثم تضمحلّ ، وتنعقد ثم تنحلّ . أنعم النظر إليها فرأى هولاً عظيماً ، وخطباً جسيماً ، وخلقاً حثيثاً ، وأحكاماً بلغة ، وتسوية ونفخاً ، وإنشاءً ونسخاً .

**الكل مرتبط بعضه ببعض** - إن قلت : يظهر مما حكيت ، من هذه المشاهدة ، أن الذوات المفارقة إن كانت لجسم دائم الوجود لا يفسد كالأفلاك ، كانت هي دائمة الوجود ؛ وإن كانت لجسم يؤول الى الفساد ، كالحيون الناطق ، فسدت هي واضمحلت حسب ما مثلت به في مرايا الانعكاس .

(٩) عنى بالذوات الاولى انفس الاموات الناجية ، وبالثانية انفس الاحياء المنخطفة كنفس هي .

(١٠) أنفس الموتى الهالكة .

(١١) وان عليه : غلب واشتد .

(١٢) استدير الشيء : أتاه من دبره ، اي من خلفه . وفي المصادر : مستديرة .

(١٣) الحجاب : بين الانفس الهالكة والحق . والانجذاب : الى المادة ( راجع مصير النفس البشرية في المبحث السابق ) .

فأقول لك : ما أسرع ما نسيت العهد وحُلت عن الربط ! ألم نقدم  
إليك أن مجال العبارة هنا ضيق ، وأن الألفاظ على كل حال توهم  
غير الحقيقة .

كل الامور ، ههنا ، غير مفارقة للأجسام ، ولا قوام لها إلا بها وفيها .  
لذلك افترقت ، في وجودها ، إليها ، وبطلت ببطلانها .

اما الذوات الإلهية والارواح الربانية فهي كلها بريئة عن الاجسام  
ولواحقها ، ولا ارتباط ولا تعلق لها بها ، إنما ارتباطها وتعلقها بذات  
الواحد الحق الموجود الواجب الوجود . هو أولها ومبدأها ، وسببها  
وموجدتها . وهو يعطيها الدوام ويمدتها بالبقاء والتسرد . لا حاجة بها ،  
بل الأجسام محتاجة إليها . لو جاز عدمها لعدمت الأجسام ، فإنها هي  
مباديها . كما أنه لو جاز ان تعدم ذات الواحد الحق ، لعدمت هذه  
الذوات كلها ، ولعدم العالم الحسني بأسره ، ولم يبقَ موجودٌ اذ الكل  
مرتبط بعضه ببعض .

العالم المحسوس ، وإن كان تابعاً للعالم الالهي شبه الظل له ، والعالم  
الالهي مستغن عنه وبريء منه ، فإنه مع ذلك يستحيل فرضُ عدمه اذ  
هو لا محالة تابع للعالم الالهي . وبذلك نطق الكتاب العزيز حيناً وقع  
هذا المعنى في تعيير الجبال وتصييرها كالعين (١٤) ، والناس كالقراش ،  
وتكوير الشمس والقمر ، وتفجير البحار ، يوم تُبدل الارضُ غير  
الارض والسموات (١٥) .

مشاهدة شبه دائمة - ما هو إلا أن تثبتت حيّ قليلاً حتى عادت إليه  
حواسه ، وتنبه من حاله تلك التي كانت شبيهة بالغشي ، وزلت قدمه  
عن ذلك المقام . لاح له العالم المحسوس ، وغاب عنه العالم الالهي ، اذ لم

(١٤) العين : الصوف عامة ، أو ما كان منه مصوغاً .

(١٥) ١٠١ سورة الفارعة : ٤ - ٥ ، و ٨١ سورة التكوير : ١ ، و ٨٢ سورة

الانفطار : ٣ ، و ١٤ سورة ابراهيم : ٤٨

يكن اجتماعها في حال واحدة إلا كضرتين (١٦) إن أرضيت إحداهما استخبطت الأخرى .

بعد جولات حيّ حيث جال ، سمّ تكاليف الحياة الدنيا ، واشتدّ شوقه الى الحياة القصوى . جعل يطلب العود الى ذلك المقام ، بالنحو الذي طلبه أولاً ، حتى وصل اليه بأيسر من السعي الذي وصل به أولاً ، ودام فيه ثانياً مدة أطول من الاولى .

ما زال الوصول الى ذلك المقام الكريم يزيد عليه سهولة ، والدوام يزيد فيه طولاً ، حتى صار بحيث يصل اليه متى شاء ولا ينفصل عنه الا متى شاء . كان لا يبتني عن مقامه الا لضرورة بدنه التي قلّتها حتى كان لا يوجد أقلّ منها . وهو ، في ذلك كاه ، يتمنى أن يريجه الله من كل بدنه الذي يدعوه الى مفارقة مقامه .

بقي على حالته تلك حتى أناف على سبعة أسابيع من منشأه ، وذلك خمسون عاماً .



### ما في مشاهدات حي

وصف عالم المشاهدة - ابن طفيل داهية الكتاب . شعر بما يورط فيه نفسه بشرح ما لا يُشرح ، فاحتاط للأمر من كل جهاته قبل البوح بمشاهدات حي .

فبطله « شاهد ما لا عين رأت » .

ولا يمكن « التعبير عن تلك الحال » .

و « لا سبيل الى التحقيق بما في ذلك المقام إلا بالوصول إليه » .

مع ذلك يجود الكاتب على قرآئه « بإشارات يومية بها على سبيل ضرب المثل » .

أما الحقيقة فهي أنه لم يجرؤ على التصريح ببعض نظرياته في سياق الحديث عما توصل إليه حيّ في وعيه الكامل ، فاستغنى فرصة غيبوبته واستغراقه في الله ليضع على لسانه تمة نظامه الفلسفي . الانخراط حالة لاشعورية تُعدّ « سكرًا حلالاً » عند المتصوفين ، فلا يحاسب صاحبها على ما يقول في أثناءها .

**نفي الوحدة والكثرة -** إن دلّ كلام ابن طفيل على شيء ، هنا ، فعلى وحدة الوجود لا غير .

بدأ بإثبات ذلك ، إذ لم يرَ فرقاً بين ذاته وذات الله والذوات المفارقة . ثم تداركته رحمة الله - وكابوس التكفير - فغمغ كلامه الأول بالتخليط السافر . الوجود الذي ليس وحدة ولا كثرة ، ولا يجتمع ولا يفترق ، لا يعني سوى اللاوجود او العدم . ذلك ان الوجود لا يمكن إلا أن يكون واحداً بسيطاً لا يتجزأ ، أو واحداً مركباً تجتمع أجزاؤه وتفترق ، أو كثرة مؤلفة من وحدات متغايرة متباينة ... كل هذا بديهيات تفرض نفسها بجلائها .

وكان ابن طفيل قصّر عن تبيان حجته في ذلك ، فأخذ بالتهويل على القارئ خارجاً لأول مرة عن أطواره ، كما لحظ ذلك المستشرق غوتيه<sup>(١٧)</sup> : « كأنني بمن يقف على هذا الموضوع ، من الخفافيش الذين تظلم الشمس في أعينهم ، يتحرك في سلسلة جنونه ويقول : لقد أفرطت في تدقيقك حتى إنك قد انخلعت عن غريزة العقلاء ، واطّرحت حكم المعقول ، فإن من أحكام العقل أن الشيء إمّا واحد وإما كثير . فليستد في غلوائه ، وليكف من غرب لسانه<sup>(١٨)</sup> ، وليعتبر بالعالم المحسوس

GAUTHIER, Ibn Rochd, p. 161 (١٧)

(١٨) كف غرب لسانه : منع حدته وصرفها .

الحسّيس ، الذي هو بين أطباقه ، بنحو ما اعتبر به حيّ بن يقظان حيث كان ينظر فيه فيراه كثيراً كثيرة لا تنحصر ولا تدخل تحت حدّ ، ثم ينظر فيه بنظر آخر فيراه واحداً ، (١٩) .

إذا كان ابن طفيل جاداً في ما يقول ، فقد نسي أن اختلاف نظر بطله الى الأشياء ليس إلا اعتبارات ذهنية . أما هو فيبحث عن الوجود الحقيقي العيني للأشياء ، لا عن وجودها العقلي فحسب . نفهم أن تكون صور الأشياء في فكر بارها ، ولا تؤلف معه سوى واحد . لكننا لا نفهم كيف تؤلف تلك الأشياء ، بأعيانها ، واحداً مع المبدأ الاول . المخلوق لا يعكس صورة خالقه إلا كما يعكس التمثال فنّ النحّات ، لا شخصه وذاته . وإن لم يقبل ذلك ابن طفيل ، هدم كل ما بنى في كتابه من نظريات لا يقوم شيء منها إلا على نفي التناقض ، أي منع اجتماع السلب والايجاب في المعنى الواحد . أول الوجود العيني ان يكون الموجود مغايراً لسواه . واذا كان في عالم المشاهدة موجودات على غير هذا النحو ، فلم كلّف الكاتب نفسه أن يحدثنا عنها وهي على خلاف ما نعقله ؟

أغرب من ذلك قول الفيلسوف بأن من حصل عنده العلم بذات الله حصلت عنده ذات الله ، لأن علم الله بذاته هو ذاته . في هذا الكلام من الخلط والتلبّيس ما لا نجده حتى عند السفسطائيين . أليس من فرق بين علمنا بالله ، وعلم الله بذاته ؟ بل ما لنا من العلم بذات الله لتكون واحداً معه تعالى ؟ ما أصدق الحديث النبوي القائل : « تفكّروا في خلق الله ، ولا تفكّروا في ذات الله فتهلكوا » !

ذوات عالم الأفلاك - يصف ابن طفيل هنا عالم الأفلاك كما رآه في نظرية الفيض للفارابي وابن سينا ، لا كما شاهده حيّ في غيبوبته . سمى الفلك الأعلى ، وفلك الكواكب الثابتة ، وفلك زُحل . لم يأت على ذكر الأفلاك الأخرى ، أي المشتري والمريخ والشمس والزّهرة وعطارد ، لأنها كانت معروفة في الفلسفة والفلك على حد سواء .

اما ذات فلك القمر التي أطنب في وصفها ، فمن الظاهر الواضح انها العقل الفعال منبع الصور وواهبها . وفلك القمر يحيط بعالم الكون والفساد ، كأنه حشبي به ، فيحيي كل ما فيه .

وفي جعل الأفلاك مرآيا تعكس نور ذات الحق من فلك الى فلك ، حتى القمر ، عودة الى القول بوحدة الوجود . لا شأن إلا لذات الحق ، وما الباقي سوى خيالات وظلال لا حقيقة لها غير الانعكاس .

**الأنفس البشرية** - أعاد ابن طفيل هنا ما أثبتته عن طريق النظر العقلي في مصير الأنفس البشرية (٢٠) . وزاد أن تلك الأنفس صورة للعقل الفعال ، او ذات القمر . هي شيء منه ، ولو كان لا يتجزأ . ووجودها الخاص رهن وجود البدن ، تُنسب إليه كما تنسب صورة الشمس الى المرآة التي تنعكس فيها ، فاذا تحطمت المرآة صحّ فساد تلك الصورة واضمحلت وبقيت الشمس لم تنقص ولم تزد .

يذكرنا هذا بوحدة العقل البشري كما فهمها ابن رشد بعد ابن طفيل (٢١) . لكن ، إن كانت النفوس تضيع في العقل الفعال ولا تحافظ على شخصيتها في الآخرة ، فكيف يقول ابن طفيل إن بعضها يسعد وبعضها يشقى ؟ قد نسلّم أن الأنفس الناجية تسعد بسعادة العقل الفعال نفسه . أما الأنفس الهالكة فكيف تشقى ، إن كانت تفتى في ذلك العقل ؟ هل يمكن أن يشقى شيء في ذات السبعين ألف وجه ؟

**ترابط الوجود** - أنفس البشر تفتقر اذن الى الأجسام ، وتبطل بطلانها من حيث هي ذوات مستقلة . لكنها تبقى ببقاء ذات القمر ، وهي من العقول السماوية .

النفوس والعقول السماوية نفسها متعلقة بذات الحق لا وجود لها إلا بوجوده .

(٢٠) راجع البحث السابق .

(٢١) مباحث ١ : الفزالي وابن رشد ، ص ١٧٦ - ١٧٩

أما العالم الحسي فتابع للعالم الإلهي ، يمكن أن يتبدّل لا أن يُعدم .  
فابن طفيل يثبت هنا أبدية العالم بعد أن أكّد أزلته في عالم المعقولات .  
لكن العالم الحسي كالظل للعالم الإلهي ، والظل يتبع صاحبه من غير أن  
يكون شيئاً منه .

وهكذا تدرك لمّ في كل شيء ، في نظر حيّ ، عندما في هو نفسه  
في الله . فهو لا يرى وجوداً حقيقياً إلا لذات الحق .



### مذهب ابن طفيل في الوجود

فيض - وزّع ابن طفيل نظرياته على كل رسالة حيّ بن يقظان ،  
حتى لترى نفسك مضطرباً الى ملمتها من هنا وهناك . لكنه كشف  
النقاب عن حقيقة مذهبه عندما انتهى ببطله الى عالم المشاهدة . فإليك  
خلاصة ذلك المذهب :

الوجود الحقيقي هو الله الحق ، المبدأ الاول الواجب الوجود ، لأن  
وجوده من نفسه وبنفسه .

العقول المفارقة انعكاسات لذلك الاول : صور ، ظواهر ، يرى  
نفسه فيها .

النفوس البشرية انعكاسات لعقل فلك القمر . إلا أن هذه الانعكاسات  
لا تتخذ كياناً خاصاً إلا بالابدان . فاذا ذهب الابدان ذهبت تلك  
النفوس المتعددة بالمادة ، الواحدة بذلك العقل : « هي من الكثرة في  
حدّ بحيث لا تتناهى إن جاز أن يقال لها كثيرة ، أو هي كلها متحدة  
إن جاز أن يقال لها واحدة » (٢٢) .

لسكي تفهم ذلك ، اعتبر العالم حيواناً كبيراً كما اعتبره ابن طفيل (٢٣) ، أو إنساناً مثلك . نفسك نفس لكل عضو فيك ، ومع ذلك فهي لا تتعدّد ، بل أعضاؤك هي المتعدّدة . واذا ذهبت اعضاؤك بالموت ، لا يبقى نفس لكل منها ، بل تبقى نفس الوحدة التي هي أنت . كذلك العقل الفعال ، المقابل للنفس الكلية عند الاسكندرانيين ، فهو يجي كل عضو في هذا الحيوان الكبير الذي هو العالم ، لكنه لا يتعدّد بل أعضاء العالم هي التي تتعدّد . وإذا ذهبت تلك الاعضاء ، لا يبقى نفس لكل منها ، بل تبقى نفس المجموع التي هي ذات فلك القمر .

أما العالم المادّي فهو هيولى ، أي إمكان صيرورة (٢٤) . والهيولى لا تصير أشياء معيّنّة إلّا بالصور التي تفيض عليها من العقل الفعّال واهب الصور . والعالم المادي أزلي أبدي كالعالم الإلهي ، لكن كيانه بكيان واهب الصور ، اذ لا وجود للمادة بلا صورة .

عند القهقري الآن . أدخل صور العالم المادي والنفوس البشرية في العقل العاشر مصدرها ، والعقل العاشر في العقل الذي قبله حتى العقل الاول ، والعقل الاول في المبدأ الاول الواجب الوجود وحده . وهكذا ترى كل الكائنات تتداخل ، وتدخل كلها في ذات الحق .

نظام فلسفي كامل ، سداه ولحمته مذهب الفيض كما فهمه الفارابي وابن سينا . الفيض هو السلك الجامع لكل ما سُحن به كتاب ابن طفيل من النظريات والمعارف . تجد الفيض في رواية تولّد حي من الارض ، وفي رواية ولادته الطبيعية . وتجد في شرح الروح الحيواني . وتجد في نظرية السببية أو فعل الصور في المادة . وتجد في نظرية قدم العالم الذي لا يتأخر عن الله إلّا بتبعية الفيض ، كتأخر حركة ما في قبضتك عن حركة يدك . وتجد في صدور ذوات الكواكب من ذات الحق . وتجد في نظرية الكشف والمشاهدة لأنها اتصال مباشر بالعقل الفعّال ، وعن طريقه

(٢٣) ص ٥٠ و ٥١ من هذا الكتاب .

(٢٤) ص ٤٧ من هذا الكتاب .

بالله نفسه : الفيض إشعاع من الله في المجدار ، ونزعة رجوع الى الله في تصاعد . حتى الفصل الاخير من كتاب حي بن يقظان ، في التوفيق بين الحكمة والشريعة ، ليس إلا تقريباً بين ما يُفيضه العقل الفعّال على عقل الفيلسوف وما يُفيضه على خيِّلة النبي .

**وحدة وجود وشمول روحاني - اتجهت أنظار كثير من الفلاسفة الى البحث عن أصل الطبيعة ، أو المبدأ الاساسي الذي منه نشأ الكون . رأى بعضهم أن للعالم نظاماً واحداً فقالوا بأنه تكوّن من عنصر واحد ، او مادة اصلية واحدة تحوّلت من صورة الى صورة فولدت الأجسام المختلفة . هذه المادة ازلية أبدية لم يخلقها إله ولا بشر ، بل هي موجودة بذاتها ضرورة ، ومنتزعة بالقوة الفاعلة وطاقتها التطوّر من الجماد الى الحياة النباتية والحيوانية بجميع أنواعها .**

دُعيت هذه النظرية مذهب « وحدة الوجود » لأنها تعيد كل الموجودات الى جوهر واحد ، ومذهب « الشمول المادي » لأنها تقول بأن الله ليس إلا مجموع الاشياء التي تؤلف الطبيعة .

مقابل ذلك قام فلاسفة آخرون لم يفرّقوا بين الكون والالوهة ، لكنهم بدل أن يقولوا بتشيء الله قالوا بتأليه الاشياء . لا وجود عندهم إلا الله ، أما سائر الكائنات فكيفيات لوجوده وظواهر لجوهره الفرد . هنا أيضاً وحدة وجود . هنا أيضاً شمول ، لكنه شمول روحاني .

وحدة الوجود والشمول الروحاني هما « مقام الصدق » الذي أطلعنا عليه ابن طفيل في ذلك الحُضْم من المشاهدات والرؤى الغامضة الواضحة . وقد وصل إليه كثير من الصوفيين عن طريق الحب والعشق والهيام ، كما وصل اليه الإشراقيون عن طريق النظر والتأمّل والاستغراق في الله . لعل الصوفيين معذورون في ما ذهبوا اليه . الصوفية حنان وذوبان ، وأحياناً هذيان ، هذيان حلوا لانه هذيان عشاق لا يليق بهم إلا السكر بالحبيب والفناء فيه . يمكن شرح وحدة الوجود عندهم بما ندعوه وحدة حال ، أو وحدة قلوب وتمازج عاطفي ، أو مشاركة روحية سرّية بين

الكائنات . كل ذلك مجاز بمجاز ، في الاغلب ، يحفظ لمتخلف الكائنات وجودها الخاص .

أما الفلسفة ، وهي أساس الإشراق ، فصفوٌ وصحو . الفلسفة ، في قضية الوجود ، بين أمرين لا ثالث لهما . فإما أن تقول بوجود الله ، ذاتي شخصي ، تعالى عن الاشياء علواً كبيراً لانه هو خالقها وبارئها . وإما أن لا تقول به بتاتاً ، بل تقف عند المادة المحسوسة ولا تتعدّها . فالقول بإله مادة ، أو مادة إله ، أو إله في مادة ، أو مادة في إله ، إهانة لله والعقل والفلسفة .

انزلاق الى المادية - يكفي ان تفكّر قليلاً في كل وحدة وجود ترى كيف تنزلق انزلاقاً الى المادية والدهرية . هذا ما وقع فيه الفارابي وابن سينا ، وابن طفيل من بعدهما ، مع أن فلسفتهم فلسفة ارواح وعقول ونفوس .

المادة ، عندهم ، فيض ضروري من العقول . والعقول فيض ضروري من الله . ولا يفيض عن الكائن إلا شيء منه أو بما فيه . فالمادة اذن شيء من تلك العقول ، وبالتالي من المبدأ الاول (٢٥) .

إله ابن طفيل لا يختلف في شيء عن إله افلوطين ، وهو الواحد الاول الذي يفيض منه كل شيء . ومفهومه للأرواح كان مفهوماً مادياً ، مما جعل بعضهم ينسبون اليه المادية المتطرفة (٢٦) . كذلك قل في سائر الاشراقين والصوفيين العرب الجانحين الى وحدة الوجود ، فان لهم نزعات توفيقية واسعة ليس فيها من الإسلام غير الاسم (٢٧) .

والحقيقة ان المادية ليست بعيدة عن ابن طفيل . الفيض ، في نظره ،

(٢٥) المباحث ١ : الغزالي وابن رشد ، ص ١٠٠ - ١٠٣

(٢٦) مجلة الطريق ، ١ و ٢ / ١٩٦٢ : ص ٨٨

(٢٧) GARDET , in Symposium de Bordeaux 1956 , p. 96

استعداد الهيولي « لشروق النور الاعلى » من الافلاك (٢٨) . شاهد النار « تتحرك الى جهة فوق ، وتطلب العلو ، فغلب على ظنّه انها من جملة الجواهر السماوية » (٢٩) . ورأى كل شيء الى النار يعود : « كان يخبّر قوتها في جميع الاشياء ، بأن يلقيها فيها ، فيراها مستولية عليها إما بسرعة وإما ببطء » (٣٠) . الروح نفسه من النار : « لما اشتدّ شغفه بها ، لما راي من حسن آثارها وقوة اقتدارها ، وقع في نفسه ان الشيء الذي ارتحل من قلب امه الظبية التي انشأته كان من جوهر هذا الموجود او من شيء يجانسه » (٣١) .

هل من فرق بين هذه النظرية ونظرية هرقليطس الافسسي الذي عاش في القرن السادس واول القرن الخامس قبل الميلاد ؟ قال هذا الفيلسوف إن أصل كل شيء النار ، وآخرة كل شيء النار ، اذا تكاثفت تولدت منها الاجسام الكثيفة ، واذا لطفت ووقت تولدت منها الاجسام اللطيفة وانبعثت منها الارواح (٣٢) .

هرقليطس صادق مع نفسه ومنسجم ، لأنه يقول بأن هذا الكون لم يخلقه انسان ولا إله ، بل هو موجود منذ الازل وسيظل باقياً الى الابد (٣٣) .

اما ابن طفيل فيريد أن يوحد بين الخالق الواجب والمخلوق الممكن ، بين الروح الروح والمادة المادة ، بين الواحد والكثرة ، الى كل ما هنالك من متناقضات .

لا شك في ان لا وجود لشيء ، في نظر المؤمن ، إلا بالله معطي

(٢٨) حي بن يقطان : ص ٦٦

(٢٩ و ٣٠) حي بن يقطان : ص ٧٩

(٣١) حي بن يقطان : ص ٨٠

(٣٢) FREEMAN , p p .110 , 117 , 125

(٣٣) BREHIER , T . I , fasc . 1 , p . 55 .

الوجود والحافظ في الوجود . لكن وجود المخلوقات غير وجود الخالق .  
والألم الكلام في « خالق » و « مخلوق » ؟



### خاتمة

النشوة الاشراقية حلم من أحلام افلوطين وقد خطف أربع مرات  
في حياته ، وهم من اوهام تلميذه فرفوربوس وقد خطف مرة واحدة .  
لعل ابن طفيل حدثنا ، باسم بطله ، عن تجربة روحية عاشها بنفسه في  
الخطافات له .

نحن نعذره في ما قال في حالة غيبوته .

على ان يعذرنا ، إن لم نسلّم بمقاله ونحن في وعينا الكامل .

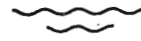
﴿ جميع الحقوق محفوظة ﴾

رأي بروتستانتى فى المجمع المسكونى

هل نحن

فى طريق

الوحدة؟



تلخيص

الاب اتيان حداد المخلصى

ان المجمع الفاتيكاني الثاني الذي افتتح جلسته الاولى ، فى روما ، فى الثامن من ايلول الماضي ، يعد من اكبر المجمع المسكونية التي التأمّت فى تاريخ الكنيسة . ولربما سوف يكون ذا تأثير لم يسبق له مثيل فى العصور الغابرة . ولم تكن احتفالات الافتتاح الفخمة سوى مظهر ضئيل لاهدافه الثورية التي كانت ترمي الى اصلاح وتجديد عميقين فى الكنيسة الرومانية ، فيحدث تغييراً فى حياة وطريقة تصرف ٥٠٠ مليون من الكاثوليك ؛ بل هو ، حسب قول البابا ، « الدعوة العذبة » الى كل المسيحيين المنفصلين منذ اجيال واجيال ، « لايجاد تلك الوحدة المنشودة التي طلبها يسوع بالحاح من ابيه السماوي » .

يقول الدكتور شارل مالك : « ان المجمع بإمكانه ان يكون الحدث الاهم والاكبر للقرن العشرين ، بل لاجيال كثيرة » .

ان الكنيسة الكاثوليكية الرومانية تعلق اهمية كبرى على هذا المجمع . وبصفتها وريثة القوانين الاساسية التي وضعها ، لاربع مئة سنة خلت ، المجمع التريدينيني ، فان الكنيسة - حسب رأي البابا - قد رزحت تحت سيطرة البيروقراطية ، اذ تكيفت ببعض عادات جعلتها منعزلة وغير قادرة على مجاراة مقتضيات العصر . فنية المجمع اذن هي تهيئة « كنيسة الغد » .

هذه التهيئة تقترض درس الاصلاحات الداخلية ، خاصة وضع حدّ للمركزية التي تعطي الدوائر الفاتيكانية صلاحيات كبرى ، وتقترض ايضاً النظر فى حدود الابريشيات وتغيير اوضاعها لاقامة توازن بينها وبين رعاياها فى مختلف البلدان ( فى ايطاليا ٢٦٠ ابرشية لـ ٤٨ مليون من الكاثوليك ، بينما

في المانيا الغربية يوجد ٢١ ابرشية لـ ٢٣ مليون من الكاثوليك ) . كما تقترض ايضاً سنّ القوانين لتوزيع الاكليروس بالمساواة ( ان اميركا اللاتينية لها كاهن واحد لكل ١٠,٠٠٠ مؤمن ، بينما في الولايات المتحدة يوجد لكل ٨٠٠ مؤمن كاهن واحد ) ، وتبسيط الليتورجيا ، لتصبح سهلة المنال والفهم ، وجعل لغة هذه الليتورجيا او الاسرار لغة يتكلمها المؤمنون .

لكن صعوبات جمة سوف تعترض هذه الاصلاحات . فهناك معارضة قوية في دوائر الفاتيكان ( اكثر اعضائها من الايطاليين المتقدمين بالسن والذين يقاومون كل تغيير وتجدد ) ؛ كما ان بعضاً من اساقفة ايطاليا واسبانيا واميركا الجنوبية واميركا الوسطى لا يجدون ضرورة لمثل هذا الاصلاح في الكنيسة . والجدير بالذكر ان ايطاليا وحدها تعد ٤٣٠ اسقفاً من مجموع ٢٧٠٠ من الذين يشتركون في التصويت .

مقابل هذا العدد من التقليديين ، هنالك ٤٠٠ تقريباً يودون الاصلاح ، قد قدموا من البلاد الشمالية حيث نشأت البروتستنتية : المانيا ، النمسة ، سويسرا ، هولندا ، فرنسا ، بلجيكا ، بريطانيا ، والبلاد السكندنافية ؛ وقد قال احدهم : « اننا سوف نبرهن ان الاصلاح ليس وقفاً على البروتستنت وحدهم » . ما هو ، يا ترى ، موقف البابا الذي ينعم بحق النقض على مقترحات المجمع ؟ ان الغاية التي من اجلها دعا الاباء الى المجمع ، اي تجديد الكنيسة ، تضعه بوضوح الى جانب المصلحين .

في الثلاث السنين الاستعدادية للمجمع ، اصرّ قداسته على استعراض كل المشاكل التي تقلق ضمير الكاثوليك وغير الكاثوليك . وفي اول مشوره الباباوي ، في حزيران ١٩٥٩ ، شدّد على احترام حرية الرأي والتفكير ، لانه يقدر كثيراً ذلك « النور الذي سينبعث من احتكاكات الآراء المتعددة » .

ان اعزّ واعذب امنية للحبر الاعظم ، خلق جوّ التفاهم بين الكاثوليك وغير الكاثوليك ، وهذا التفاهم والتقارب يهدان الطريق للوحدة المسيحية الشاملة . واول عمل قام به بعد ارتقائه السدة البطرسيّة ، هو انه اوجد

السكرتيرية لانهاد الكنائس . وقد وضع على رأسها الكردينال « بيا » وهو من المع واشهر الكرادلة علماء واطلاءً وتأثيراً .

وفي كل خطابه ، منذ توليه السلطة العليا ، كان قد استه ينوه بضرورة ازالة العقبات بين الكنيسة والاخوة المنفصلين كأساس لكل تجديد في الكنيسة . وقد قال للمراقبين الذين مثلوا الكنائس البروتستنتية والارثوذكسية :

« ان حضوركم اكبر مشجع لي . وقلبي يحترق شوقاً ليعمل ويتالم في سبيل تعجيل تلك الساعة التي من اجلها صلى يسوع في عشائه السري : « ليكونوا جميعهم واحداً في الوحدة » .

ان هذه الحركة المسكونية لا تنبعث من عمل فردي ومعزول . كما لا يمكننا ان ننكر ان الكنيسة الكاثوليكية مدفوعة بتيار يرجع الى عشرات السنين ، مصدره ينابيع عديدة ؛ وهذا ظاهر خصوصاً في الكنيسة البروتستنتية حيث راح التقيد العقائدي يتقلص شيئاً فشيئاً .

فلقد تم اتفاق وحدوي بين عديد من البروتستنت في بلاد مختلفة ، منها كندا والمانيا والهند واليابان وجزر الفيلبين واندونيسيا ونيجيريا وغانا وروديسيا ، واهم انجازاتهم ، هو خلق مجلس عالمي للكنائس . وقد تألف منذ خمس عشرة سنة واتخذ شعاراً له : « Le monde est trop puissant pour que l'Eglise soit divisée » . وهذا المجلس يضم ٢٥١

كنيسة من ٩٠ بلداً يمثلون ٣٠٠ مليون من البروتستنت والارثوذكس . والجدير بالذكر ان الكنائس البروتستنتية في الولايات المتحدة خصوصاً ، اخذت تخفف من الانقسامات بين بعضها البعض ، وتلتم لتؤلف وحدات قوية جديدة . فمن ٦٤ مليون من المؤمنين يوجد ٣٠ ٪ من البروتستنت ، في الولايات المتحدة ، ينتمون الى كنائس متعددة ، اخذت على عاتقها ان لا تؤلف الا كنيسة واحدة ، بعد ان كانت تمزقها انشقاقات داخلية .

ان الاختصاصيين الكاثوليك في الحركة المسكونية يعترفون بصراحة ان حركة البروتستنت هذه كان لها تأثير حازم في « نضج وازدهار » رغبتهم في الوحدة . فهناك فرق كاثوليكية - مثل اونيتاس واواناسانكتا في المانيا -

اخذت على عاتقها ان تخلق بين كل المسيحيين علاقات تفاهم . ان رغبة وحدوية شاملة تظهر في كلا الفريقين ، كما قال الكردينال ليجه .

ثم ان لاهوتيين كاثوليك دعوا خصيصاً ليتباحثوا مع مؤسسات بروتستنتية ، وقد كثرت في اوروبا الغربية ، جلسات الدروس المسكونية التي تضم بروتستنت وكاثوليك بما دفع مونسينيور هينان ، اسقف ليفربول ، في انكلترا ، الى القول : « ان الحوار حل مكان المناقشات الحادة » .

كان لهذه الارادة الطيبة الوقع الحسن . فلم تقتصر فقط على ازالة العدوات القديمة ، بل اظهرت ان « الاخوة المنفصلين » كانوا يسرون تلقائياً الواحد نحو الآخر . والدكتور « هانس كاينج » الكاثوليكي ، معلم اللاهوت في جامعة « تيوبنجن » ( المانيا ) قال في كتابه « المجمع والرجوع الى الوحدة » : ان الكاثوليك والبروتستنت اذ ودوا ان يتعارفوا ، دهشوا لأية درجة توصلوا اليها في تشابههم ، رغم التنافر الذي لا يزال يفرقهم . ولدعم هذا القول يذكر الدكتور كاينج اهتمام الكاثوليك الجدي للكتاب المقدس ، واستعمالهم لعدد كبير من الترانيم البروتستنتية ، وازالة العداء البروتستنتي ، والفحص المدقق الذي يقوم به اللاهوتيون الكاثوليك ، بخصوص كهنوت كل المؤمنين ، وفوق ذلك كله الاقرار بأن الاصلاح البروتستنتي كان حدثاً دينياً وشبه حتمي ، واخيراً الاقرار بأن على كلا الفريقين مسؤولية الانفصال .

الى الآن لم يظهر المجمع اية نزعة لاثارة المناقشات حول بعض الاعتقادات الكاثوليكية والممارسات التي لا يقرّها الاخوة المنفصلون ، كقوانين الزواج المختلط مثلاً .

كما انه لم يوضّح بعد تلك القوانين التي تطالب بالحرية الدينية ، حتى في البلاد التي اكثريتها كاثوليك واقليتها بروتستنت كاسبانيا مثلاً ، كما لم يوضح المثل الديني القائل : « لا خلاص خارج الكنيسة » ، والدور الذي على العلماني ان يلعبه في الكنيسة .

ان الوحدة في مفهومية الكاثوليك ليست هي الا وحدة ادارية فقط في نطاق روما ، وتحت سلطة البابا ؛ وهذا ليس بغريب على يوحنا

الثالث والعشرين . وتثار صعوبات كثيرة كل مرة يصار الى درس الوحدة العملية بين المسيحيين .

انه لصعب على العالم البروتستنتي القبول ببعض ممارسات او اعمقادات هي غير بمكنة التغيير ، لانها مركزة على العقيدة ؛ هكذا مثلاً الاندفاع العصري نحو التعبد للعدراء مريم ؛ وفي نظرية البروتستنت ان مثل هذه العبادة تقلل من المكان الواجب ان يعطى للمسيح . وأما الصعوبة الكبرى التي تقف في وجه البروتستنت فهي العصمة البابوية المحددة سنة ١٨٧٠ . فالبطريرك اثناغوراس ، بتكلمه عن الكنائس الارثوذكسية الشرقية ، قد اعلن بوضوح ان قبول الكاثوليك الرومانيين بتخفيض السلطة البابوية يجب ان « يكون الخطوة الاولى نحو الوحدة المسيحية » . اما وجهة نظر البروتستنت فيعتبر عنها رئيس اساقفة كاتبري بقوله : « اني مستعد ان اقبل بالبابا كاسقف - رئيس ( الاول بين متساوين ) ولكن ليس بعصمته » . والاساقفة الكاثوليك ذور الميول التقدمية لا ينكرون هذه العقبات ، لكنهم يوجهون اهتمامهم نحو نوع من المساهمة التي يمكن تحقيقها في المستقبل القريب ، مثل التعاون في مجابهة التسليح النووي ، والقضايا الاجتماعية ، والنشاط الرسالي والحياة العائلية والمدنية الخ ...

اما بالنسبة الى تطور هذه الوحدة في المستقبل ، فالمسكونيون الكاثوليك يلقون على الله أمر تحقيقه . فعلينا ، يقول بعض آباء المجمع ، بانتظار هذا اليوم ، ان نتخذ اولاً اجراءات اصلاح مهمة تمكننا من ان نتكلم عن الوحدة تحت هذا الشكل او ذاك .

وكخاتمة ، لا اجمل من تصريح الدكتور كاينج : ان التجديد والاصلاح لا يقومان بالاعمال الصغيرة ، بل يلزم لها اعمال جبارة . ان المجمع لا يستطيع ان يقوم بكل هذه المساعي للرجوع الى الوحدة ، ولكن عليه ان لا يتراجع الى الوراء ، بل ان يثق ويأمل بان الوحدة لا بد من ان تتم . ليست المشكلة ان نعرف اذا ما كان اعتبارنا للبروتستنت او للارثوذكس سيزداد ، بل المهم ان نعتبر مشكلة الوحدة كأنها صادرة عن ارادة سيدنا يسوع المسيح . ( عن موضوع للسيد كلارانس هول )

## التمييز العنصري

### في ميزان

### العلم

### والواقع

#### المعضلة

وكيف نفسر على اذواء رقينا جرائم ومنكرات لم نسمع بثلاثها يوماً ، حتى لدى من ننتعهم بمتوحشين ، والتي ان دلت على امر فعلى انحطاط اخلاقي مرعب . وكيف نعلل نقشي الاحاد والمادية تفشياً بات مخيفاً حقاً ؟ والمؤسف في كل هذا ان لا يكون ثمة من مبرر لنقصان كهذا في مكونات حضارتنا سوى الجهل او الكسل واللامبالاة ، او الهلع وعدم الثقة ، او الانانية والحقد ، وكلها امور يجب ان لا يتدفن اليها انسان اليوم .

ولنلق نظرة على واحدة من نواقص حضارتنا ، المشكلة العنصرية ، فجيل كجيلنا تراه كيف يقبل بمركب نقص مثل هذا ، وبمخازن

كلنا نقرأ يومياً في الكتب والصحف وتنتسج الى الاخبار والاحاديث الكثيرة ، بل ندافع نحن انفسنا ، وبشديد اللهجة ، عن جيلنا هذا العشرين والرقي الذي أحرزه ، وعمما حققه من اكتشافات واختراعات وثقافة واسعة المدى ، وبهذه السرعة المذهلة . وليس في هذا كله من شك ، سوى ان هذه السرعة عينها وعوامل اخرى عديدة جعلت ان يكون اتجاهه غير سليم من جميع وجوهه ، وان تكون مدينتنا بالتالي غير متكاملة في جميع عناصر تكوينها . والا فكيف نشرح تناحر الدول فيما بينها وتكالبها على التسليح الباهظ المصاريف ، بينما في العالم ملايين يتضورون جوعاً ؟

اليوم كثيراً ، بين السيطرة او  
الوصاية على شعب ما واعتبار هذا  
الشعب ، من قبل المستعمرين ، باحظ  
منهم كثيراً ، ولاسيما اذا ما كانوا  
من لون مختلف ( البيض والسود ،  
وتجارة الرقيق الاسود ) . وما زالت  
مخلفات هذه الفكر الاستعمارية منتشرة  
حتى اليوم . فهل كان المستعمرون  
على حق في تصريحاتهم واعتقاداتهم  
هذه ؟ وهل يصح بالتالي تفضيل  
شعب على آخر بالاستناد على اختلاف  
العنصرية او حدة الذكاء او تحديد  
الطباع ؟ وما هي العنصرية فيجوز  
الاستناد عليها ؟

كالتى تطالعنا بها الصحف والاذاعات  
في عدة بلدان ، ولاسيما في اتحاد  
جنوب افريقيا ؟ ولسوف يتأكد  
القارئ ، بعد مطالعته لهذا البحث ،  
بأن المشكلة ابعد بكثير من ان  
نحصرها ضمن نطاق تلك الوقائع  
والاحداث البينة التطرف والشطط ،  
بل هي اعم انتشاراً بكثير والى حد  
يكاد لا يحلو منها شخص واحد  
منا في علاقاته اليومية مع الغير ، او  
في آرائه الشخصية وتفكيره واذواقه .  
ولن يسمح المجال لبحث القضية  
الاستعمارية ، بل يكفينا ذكر العلاقة  
التي كانت قائمة ، وقد اخذت ثقل

### عوامل تاريخية تراثية

عنصرهم ودينهم ولونهم وجنسياتهم !  
ونحن اذا ما كان لنا مثل هذا  
الشعور ، وحتى قبل التعرف على  
احد هؤلاء الغرباء ، فلا نعرف للامر  
مبرراً او تعليلاً . ولعل شعورنا  
يتوتر اذا ما اصطدمنا برجل او  
شعب من غير قومنا . فكم منا  
هم الذين لا ينعنون الافريقيين بزنج  
او عبيد او متوحشين ؟ ولعلنا نحن

ولنبداً بامتحان بعض عواملنا  
النفسية في هذا الصدد .  
نحن نعتبر كل من ليس من وطننا  
وقومنا « غريباً » او « دخيلاً » ،  
وكثيراً ما نكنّ لهم جميعاً ، في  
قرارة انفسنا ، عاطفة تشابه عاطفة  
ذاك السكّير الذي صورته جريدة  
امريكية ، هاتفاً بلاء حنجرته بأنه  
يمقت الجميع ، وبغض النظر عن

والمؤسف ان تتوصل اعتقادات كهذه لا اصل لها البتة الى حد تسيير سياسة بكاملها ، فقااست البشرية وبلات النازية الالمانية ، التي اعتبرت اهالي بولونيا غير اهلين للقيام بأعمال سوى الاشغال الشاقة ، واندفعت تبديد اليهود عن بكرة ابيهم بكل فظاظاة وقسوة . بل لقد تسرّبت عدوى هذه الخرافات الى العلماء انفسهم ، فراحوا يدافعون عن تسامي اقوام على غيرهم . والمضحك المبكي ان يعتبر العلماء قومهم وجنسهم بأرفع منزلة وانقى عنصراً من سائر الاقوام الاخرى ! فكان العلماء الالمان على أتمّ اليقين يتفوق الشعوب الاوربية الشمالية على غيرها من الشعوب ، بينما ارجع العلماء الايطاليون كل الفضل في خلق الحضارة العصرية الى سكان حوض البحر المتوسط .

اهالي الشرق المتوسطي لن ندهش لازياء تختلف عما نرتديه ، لان لنا نحن لنا ايضاً ثيابنا الخاصة ، اما الغربيون فيعتبرون ازياءنا وازياء غيرنا غرائب وتحفاً ، هذا اذا لم تغدُ لهم موضوع هزة ومبعث سخرية .

ولنلاحظ جيداً واقع الشعوب والاقوام التاريخي التراثي . فليس ثمة من جماعة بشرية واحدة لم تعترف ، في تضاعف تاريخها ، بتساميها على كل الجماعات الاخرى ، ونعت ما سواها بصفات محقرة . فالرومان مثلاً اطلقوا على كل الشعوب الاخرى تسمية « البربر » . وليس البيض وحدهم هم الذين كثيراً ما اعتبروا السود دونهم ، بل لقد تغنى السود ايضاً بتفوقهم على سائر جماعات الالوان الاخرى .

### العقلية والتهذيب

احد البجائنة النفسانيين يتمتعن اطفال مدرسة غير راقية المستوى ، متبعاً اسلوب الاسئلة المعروف باسلوب العالم بينه ، اذا به يوجه اليهم هذا السؤال : « اذا ما ذهبت لشراء

فئمة عوامل اجتماعية وثقافية كوّنت لنا نفسية خاصة ، نفسية عنصرية خاطئة . وللتأكد من مدى تأثير هذه العوامل على الفرد ، نكتفي بذكر بعض الحوادث . فبينما كان

يقوم واياهم باختبار يقتضي ان يحل المشكلة كل بمفرده ، اتت حلولهم متأخرة جداً ، ولكن ليس لقلة حدة ذهنيهم او سرعة خاطرهم ، بل لانهم قد تعودوا ان يحلوا مشاكلهم كلها بنوع جماعي ، فكانوا يقفون منتظرين ان يساعدهم الممتحن في حل المشكلة ، ويستغربون جداً من امتناعه ، سيما وهو صديق لهم حميم . ومن هذا الصنف ايضاً نتيجة مباراة جرت ما بين اطفال امريكيين بيض وهندوسيين ، فكانت حلول هؤلاء بطيئة ، لانهم لم يتعودوا يوماً على العمل بمجلة بل بكل تناقل وثنات . وثمة قبائل يعترى افرادها الحياء اذا ما هم اضطروا الى الاجابة عن امر وبين الحضور من يجله . وغيرهم ، كهندوس الاريزونا ، لن يتباروا بين بعضهم البعض ولو الزموا على ذلك . ان هذه الامثال كلها تعلن جلياً التأثيرات التي للعوامل الاجتماعية في تكوين العوائد والنفسيات . فما يتعلمه المرء او ما لا يتعلمه في بيته ولدى قومه له تأثيره الخطير في مجرى حياته بمرتها وعلى خلق لعقليته الخاصة .

واذا ما رحنا نحلل نفسيات

حلويات بستة قروش وكان لديك عشرة ، فكم يبقى معك ؟ » فكان جواب احدهم : « اني لم احصل حياتي كلها على عشرة قروش ، ولو ملكتها يداي لما اشترت بها حلويات ، سيما ونحن نصنع الحلويات في بيتنا . فاعاد الممتحن الكرة وسأله : « ولو كنت ترعى عشر ابقار هي ملك لكم وشردت ست منها ، فكم بقرة تعيد الى الدار ؟ » فاجاب الصبي : « لسنا نملك عشر بقرات ، ولو كانت لنا واخذت احداها لما تجاسرت وعدت الى البيت . » وجرب الباحث للمرة الاخيرة فسأله : « في صف مؤلف من عشرة طلاب ينقص ستة منهم لانهم مبتلون بالحصي ، فكم هو عدد الحضور ؟ » ، فأتى الجواب سريعاً : « لا احد ، لان الآخرين ايضاً يخافون ان يصابوا هم ايضاً بالحصي ! » . ان هذا المثل انما ينم عن تصور الخيال والفرضية كحقيقة واقعية ، وليس يدل البتة على عدم مقدرة الطفل على القيام بعملية حسابية بسيطة . والاستاذ بورتيس يقص علينا هو ايضاً حادثة جرت له مع سكان اوستراليا الاصليين ، الذين اذ كان

واللغة هي ايضاً عامل مهم في تكوين نفسية الشخص وعقليته . فان كانت لغة ما تنعت كل الاقوام الاخرى بالبربر او الهمج ، فهي تخلق في نفوس افرادها انجهاً معيناً في التفكير واعتبار الغير . ولا يصح على اساس اللغة امتحان شبان عدة اقوام لمعرفة تفوق بعضهم على بعض ، فان من يتكلم لغتين او اكثر ليس كمن يتكلم لغة واحدة فقط ، ولان تجربة لا تتركز على اللغة او الرموز او كل ما من شأنه ان يفترض تثقيفاً مسبقاً وعوائد خاصة ليست موجودة البتة .

الكثيرين ، فهل سنلقاها مبنية دوماً على اسس البدهاة والعقل ؟ لقد اجرى العلماء اختباراً في احدي المدارس ، فوزعوا على طلابها ورقة كتب في الوسط منها كلمة « الجاهير » ، تليها خمس صفات : ( تجمع ، خطر ، رمال ، اضطراب ، كمية ) ، كان على الطلاب اختيار صفتين منها ملائمتين للجاهير ، فوقع اختيار قسم منهم على كلمات الخطر او الاضطراب او الرمال ، مع ان المنطق والواقع يقضيان بانتقاء التجمع والكمية لا غير .

### دور البيئة

ظاهرياً فقط كسواهم ، وجمية الاخرين ، بيد انهم يفضلون في الواقع ان يعيشوا ، او هم مرفعون على الحياة بعزلة تكاد تكون تامة عن الناس ( البيض ) الاخرين . واذا ما بان حينذاك فارق بين قوم وقوم ، فينبغي اعتبار العوامل الاخرى ، الاقتصادية او الثقافية وغيرها ، كما يجب عدم تناسي تفوق اشخاص قوم نعتبرهم بأحط من

وهناك عوامل اخرى يأتي بها الوسط الذي يعيش المرء فيه ، وتنوع بتنوع العادات وتباين مستوى الحياة والتفكير . فليس بالامكان التمييز بين عنصر وعنصر في وسط يعيش فيه معاً وبأتم التعاون ناس يتحدرون من اكثر من اصل واحد . ولا قيمة هنا لحالات تبين معاكسة للوهلة الاولى كما هي اوضاع الهندوس في اميركا او غيرهم ، ممن يعيشون

للووسط تأثيره على الانسان ومنذ  
الاشهر الاولى على مولده ، فالغذية  
السليمة ليست كالتغذية المنقوصة ، كما  
للحنان واللعب وكل ما يقع عليه  
بصر الطفل او يطرق مسعاه  
اثر لا بأس به . ولن تصح التجربة  
في تقرير تقوق طفل على غيره ،  
( الابيض والاسود مثلاً ) ، الا  
اذا وضع كلاهما ، ومنذ الولادة ،  
في بيئة واحدة وكانت لهما عين  
العناية والمراعاة . ولقد قام الدكتور  
بازامانيك ابان الحرب بمثل هذه  
التجربة ، فلم يلتق اي فارق اساسي  
بين الاسود والابيض .

فحق اذاً ما جاء في تصريح  
الاونيسكو عن العنصرية ، بان  
الجميع « يقرون اليوم عادة بانه ليس  
في وسع اختبارات حدة الذهن ان  
تحدد بصواب ما يتأتى عن الفطرة  
الطبيعية او ما هو نتيجة لتأثير او  
تعود او نشوء في بيئة ما » .

غيرهم على افراد سائر الاقوام الاخرى ،  
بما يدل على ان ما يحتاجه ذلك  
القوم المعتبر منحنطاً هي الامكانيات  
ووسائل التنقيف ليس الا . فمعلوم  
هو أن سود اميركا الجنوبية هم  
اكثر انحطاطاً من سود اميركا  
الشمالية ، وبأن الاولاد السود الذين  
تبنتهم عائلات بيض هم اشد ذكاء  
من اخوانهم السود الآخرين ، مع  
ان سود الشمال كلهم مهاجرون  
من الجنوب . وحقيقة الامر هي  
في تعس حالة سود الجنوب الاقتصادية  
وقلة انتشار المدارس والتعليم فيما  
بينهم . ولقد تمت اختبارات عدة  
في هذا المضمار ، فامتحن طلاب  
مدارس مشتركة بين السود والبيض  
في نيويورك ، فلم يظهر الفرق بينهم  
كما ظهر في التجارب التي أجريت  
في المدارس المنفصلة في ناسفيل ، بل  
لقد فاق الاسود الابيض في بعض  
الاحايين . فيضطرنا الحق ان نعترف

### تعميمات فاسدة

على شيء فعلي التمييز العنصري .  
وان هذه جميعها قد شككت ما يمكننا  
تسميته « بمقاييسنا الذهنية » . فهذا

وعلاوة على العوامل التي ذكرناها ،  
فشمه تراث من احكام شخصية وجماعية  
وامثال شعبية وحكايات ان دلت

هذه التعميمات الفاسدة . فان القسم الاكبر من معرفتنا ومعلوماتنا يرتكز على شهادة الآخرين ، وقلّ من يرهق او يجهد نفسه فيبحث قصد التأكد من صحة كل ما يسمعه او يقرأه ، بل يستحيل هذا الامر حتى على العلماء ، وفي مواد اختصاصهم عينها ، فكم بالاحرى الشعب البسيط . لذا كانت مهمة وسائل الدعاية والنشر ورسالتها سامية وشاقة معاً . وكان علينا جميعاً ان نبقى حذرين فلا نصدق بسهولة كل ما يقال لنا ، سيما وطرق الدعاوة اليوم متنوعة وتم بهارة فائقة .

وقد اجري اكثر من اختبار واحد في هذا الصدد فأنت نتائج احدها على ان ٧٨ طالباً امريكياً ( من جامعة برنستون ) من مجموع مائة ، يعتبرون الالمان ذوي عقلية علمية ، و ٦٥ منهم يقولون بانهم رجال صناعة ، و ٥٣ منهم يعدون الايطاليين فنانيين ، وينعت ٨٤ منهم السود باصحاب معتقدات باطلة وبالكسل ، ويعزو ٥٣ الى الانكليزي روحاً رياضية ، ويسمي ٧٩ منهم اليهود بمحتالين ، ويصف ٥٤ الاتراك بالقسوة . ولقد اعطت حصيلة اختبارات

مثل قديم مضمونه انه متى كان للمرء صديق من المجر ، فليس هو بحاجة بعد الى عدو ، اقلّ ما يقال عنه انه تعميم شخص واحد على سائر بني قومه او وطنه وبعث اتجاه في التفكير خاص . كما اننا لا نتوانى في اطلاق احكامنا صارمة على كل الاحداث او النتائج الاخرى عقيب الاطلاع على حادثة او نتيجة واحدة لا غير . فيكفي ان نسمع بأن فلاناً خريج جامعة شهيرة لنقيم له وزناً يفوق بكثير معيار خريج جامعة قليلة الشهرة ، وقد يكون العكس هو الصحيح . ولسنا نبغي بالقول هذا بان اي تعميم مهما كان نوعه هو غير جائز . بل التعميمات الغير جائزة هي تلك التي لا تستند الى اسس متينة كالبحت والتتقيب والاستدلال المنطقي والحق والواقع ، بل الى خيوط واهية جداً ، لانه قد « قيل » مثلاً ، او لان « الجميع » يفعلون ذلك . فالابيض ينفر من الاسود لانه بعدّه قذراً او خطراً او متوحشاً . او ألا يصور البيض الشيطان اسود ، للتدليل على قباحته ، بينما يصوره السود بالعكس ؟ !

ولمن العسير جداً تجنب كل

واذ لا يعرف الفرنسي ما يجيب به محدثه عن امر ما ، يكتبني بالقول بأنه « من سكان الدانوب » ! واذا مارحنا نتصفح كتب الادب العربي والعالمي ، طالعنا امثلة متعددة على هذا النمط ، وكلها عبارات اختلقها قوم اختلاقاً او هي وليدة حادثة واحدة ، ما عتمت ان تناقلتها الاجيال وعمت على غير وعي في معظم الاحايين . والمضحك ان تتخذ اسماء الاشخاص عينها معاني خاصة ، فيحكم الناس على الشخص من اسمه لا غير . وشهرة هي في هذا الصدد تلك الحكايات والنوادر التي يقصها الناس ، حتى في بلادنا ، والتي يظهر فيها الانكليزي محتالاً وبارداً دوماً ، والفرنسي لبقاً وحرار الدم ، والالماني ذكياً حديدياً ، والبرتغالي غيباً ، والسكوتلاندي شحيحاً ، واليهودي محتالاً وخبيثاً ، والعربي من لا يزالون يقيمون في عالم الف ليلة وليلة . والمؤسف ان تدخل حكايات متناقضة وبعيدة عن الحقيقة مثل هذه في النصوص الدراسية ذاتها ، فتشوش ثقافة النشء وتغشها .

في جامعات المانية ويابانية وغيرها نتائج مشابهة مع تباين في بعض الصفات ، سيما الاوصاف المطلقة على الشعب الذي ينتمي اليه الطلاب الممتحنون ! اما التجربة العالمية التي اجريت في العامين ١٩٤٨ و ١٩٤٩ برعاية منظمة الاونيسكو ، فقد دلت على ان طلاب كل بلد يعتبرون بلدهم الخاص محبباً للسلام وفوق جميع البلدان الاخرى !

ولغة والالفاظ كذلك دورها الهام في تكوين هذه المقاييس الذهنية . فيكفي ان يقول في بلادنا قائل : « انك يهودي » ، ليفهم السامع ما تنطوي عليه تلك العبارة التحقيرية . والغريب ان ينعت الايطاليون من يتكلم لغة لا يفهمونها هم بعربي ، بينما يعتبره غيرهم من اهالي الصين ! واذا يترك شخص ما موضعاً بكل لباقة ومن غير ان يلحظه الغير ، يقول الانكليزي عنه بانه « ترك الموضوع بنوع فرنسي ! » ، بينما يقول عنه الفرنسيون بانه « تركه بنوع انكليزي ! » ؛

\*\*\*

## ومقاييس ذهنية خطيرة

المرّة ، وكانت الاسماء تدل على قومية خاصة او وطن معين ، فأنت الاجوبة الاخيرة مغايرة تماماً لسابقتها !  
والخطر في كل هذا ان يتمشى المرء في مجرى حياته بموجب الخطة التي رسمتها له مشوهة مقاييس الآخرين الذهنية ، او يساير هو الغير تبعاً لهذه المقاييس التي كثيراً ما ليس لها عمق اساس ان لم تكن ملفقة مختلفة . بينا المقروض هو عدم القاء ذات بال لاحكام كهذه ، بل والاستفادة منها ، ان كانت صحيحة ، لتحسين الطبع والعلاقات الشخصية .  
ان للتوجيه والتهديب اليد الطولى في تلافي هذه الاخطار وتكوين شخصيات متكاملة وعقلليات سليمة .  
ولنعد الى سؤالنا الاولي والاساسي : هل يصح تفضيل قوم على غيره استناداً الى العنصرية او عوامل ومفاهيم اخرى ؟

والكيا نتفهم خطورة هذه المقاييس الذهنية ، ننقل الاختبار الذي اجري في جامعة هارفرد عام ١٩٣٢ ، بعرض مشاهد على مراحل متفاوتة مقطعة ، وطلب وصفها فيما بعد كما هي . كان المشهد يحتضن اسود وابيض وهما يتزهران وبيد الابيض سكين ، فكان ان وصف السود المشهد كما هو ، وكذا الاطفال ، بينا وضع معظم كبار البيض السكين في يد الاسود ! .. ولقد امتحنت تأليف مؤرخين من بلدان عدة ، فظهر ان جميعهم ينعنون جيشهم بباسل وشريف ، بينا ينحون باللوم والحيانة على القوات المعادية . وبوماً ما عرضت صور بنات على طالبات مدرسة ، وطلب اليهن ان يضعن لها صفات مناسبة بحسب الصور ؛ ثم عرضت الصور عليهن بعد عدة اشهر مع وضع اسماء لها في هذه

## فوارق فيزيائية ؟

بوسعه ان يعطينا دلائل خاصة عن معنويته . فذو الجين العالي يمتاز بسعة الادراك وحدة الذهن وعمق

بحال البعض ، وقد قال به بعض العلماء انفسهم بوماً ، بأن الشكل الطبيعي اي الفيزيائي للفرد ،

ام الاطراف؟ وان الفوارق الموجودة فعلاً، كطول اطراف السود عادة او الاختلاف في اللون، يمكن شرحها على ضوء تأثيرات البيئة او المناخ او نوع الحياة او التغذية. ولرب معترض يتساءل كيف نعمل اذاً التأثير الوراثي والفوارق الموجودة بين شعب وآخر على ضوء هذه المعطيات العلمية والوقائع؟ فنقول بأن ثمة فوارق وتأثيرات وراثية، ولكنها بين افراد وافراد، بل حتى بين افراد القوم الواحد، وليست ابدأً بين قوم بتمامه وقوم آخر. وحتى اذا ما اخذنا برأي بعض العلماء، وقد باتوا اليوم اقلية قليلة، الذين يأخذون بنظرية الفوارق الفيزيائية بين الاجناس، فهذا لا يعني قط، والعلماء اولئك ابعدهم ان يأتي عنهم حماقة كهذه، بان الفوارق هذه هي اساس او دافع للقول بأن جنساً ما بشرياً هو ارقى من غيره.

التفكير، بينما يدل الحنك الصغير على ضعف رأي وقلة حزم، اما الشفاه الغليظة فتم على ميول جنسية شديدة والخ. والتأليف الادبية مشحونة بمثل هذه الاوهام والترهات، ولعل اشهرها قول شكسبير بفهم يوليوس قيصر: «اني افضل ان يحيط بي رجال سمان اصحاء ينامون الليل، اما كاسيس هذا فكأنه تاعس وجائع، وهو مخطر كونه يطيل التفكير!». اما الحقيقة، بشهادة الاساتذة كريبر وبوآس وكينبرغ وغيرهم، فهي في انعدام الفوارق الفيزيائية الوراثة بين جنس وجنس وعنصر وعنصر. فاذا ما امتحنا عدة هياكل عظمية ليهود مثلاً، وامتحنا غيرها لالمان او عرب او صينيين، لما توصلنا الى مقياس بوسعنا ان نستند اليه في تحاديد اوجه التشابه او اجناس الفوارق بين قوم وقوم؛ فهل هي الجمجمة ام شكل الرأس ام الالوان ام هيئات الوجوه

### وفوارق ثقافية؟

فلنذكر ما اوردناه من تأثيرات العوامل الثقافية والاقتصادية وما للبيئة من اهمية ودور. كما ان التاريخ شاهد

ويخطأ كذلك من يعتبر قوماً ما ارفع من سواهم، لان لهم عباقرة ورجالات قديرين يفوقون غيرهم،

العنصري ، يسقط معها كل اساس لهذه التفارقة المزعومة . فلا صحة ، كما بيننا ، للحجة المنطقية القائلة بان الفوارق الفيزيائية تدل حتماً على فوارق نفسانية وثقافية ؛ وليست من الحقيقة في شيء آراء فريق العلماء الذين يرجعون الاختلاف في العنصر الى الشبه القائم بين جنس بشري ما وحيوان قرد ، وهي الحجة المدعوة بالحجة البيولوجية ؛ ولا قيمة كذلك للحجة التاريخية التي يقاس بموجبها تفوق عنصر على غيره على حسب ما قدم للعلم من عباقرة ورجالات ؛ اما الحجة النفسانية فهي واهية للغاية كما اظهرت ذلك جلياً تجارب عدة اكتفينا بذكر النزر منها ... وتكون الخلاصة بان العالم الحق لا يعرف علاقة اكيده بين النسل والعنصر الواحد والنفسانية او الطبع او الذكاء .

فما هو مفهوم التناسل والتسلسل الوراثي ، وما هي العنصرية ؟

على ان كثيرين من العباقرة لم يعرفوا كذلك الا بعد اجيال واجيال على موتهم ؛ ومن تراه العبقرى العبقرى ؟ والاكيد الثابت هو أن النمو العقلي والتطور الثقافي مستقلان عن التكوين الفيزيائي ، وان تأثراً فبالبيئة والتغذية والتوجيه . وليس من الصحة في شيء بأن اقواماً معينة لها من ذات طبعها ، قابلية على تعلم اللغات مثلاً بسهولة ، اكبر من اقوام اخرى ، بينما اقوام اخرى هي مدفوعة من ذات طبعها الى الفن او الادب او الفلسفة . والتجارب التي اجريت في هذا الصدد دلت على ان ثمة ميولاً واتجاهات خاصة ، بيد انها تعود في الاصل الى اسباب شتى ، وليست وراثية البتة . فنحن ان دمجنا ، ومنذ الصغر ، اطفال شعوب مختلفة ، اضمحلت تلك الفوارق باسرها ، وآلت الى ميول فردية ليس الا .

وبسقوط كل حجج العلماء والمفكرين الذين يأخذون بالتمييز

### محاولة تحديد

اثبات تحديد يستوفي جميع العناصر والشروط المطلوبة فيقبل الجميع به . فمن الاهون جداً ذكر ما هو ليس

لقد شغل الكثيرون بالمعضلة العنصرية وبقضايا الاجناس البشرية ، بيد ان واحداً منهم لم يتوصل بعد الى

مثلاً ام هيئة الرأس ؟ كان القدماء من العلماء ( لينيو ، نوت ، كليدث ) يرجعون التمييز الى اللون ، فيعدون خمسة اجناس بشرية اساسية . اما هيلر فوضع المقياس في صلابة او مرونة الشعر ، فجاء بنتيجة مغايرة عن عدد الاجناس . فلم يكن من ديفيكر فيما بعد الا ان اعتبر مقياساً له لون الجلد والاعين والشعر وشكل الانف والرأس ، متوصلاً بذلك الى ما لا يقل عن سبعة عشر جنساً بشرياً . اما سيرجي فاكتفى باتخاذ هيئة الرأس مقياساً او حده . ونحن اذا ما اتبعنا احدى هذه الطرق فبوسعنا ان نعد ثلاثة اجناس رئيسية ( الاسود ، الاصفر - الاسمر ، الابيض ) ، كما ويمكننا ان نبلغ في العدد حتى الثلاثائة ! الامر الذي يدلنا على صعوبة ايجاد مقياس معصوم . والصعوبة الحقة كامنة في الواقع الثابت بأن عنصراً تام الحصاص والفوارق ، لن نلقاه اليوم في اي بلد او منطقة كانت . بل ان الشعوب المهاجرة في اميركا مثلاً ، بحسب دراسة العالم بوآس ، تختلف فيزيائياً عن شعبها الاصيل ، بما لا يمكن تعليقه الا بما للبيئة الجديدة من تأثيرات فعالة . بل ان فيشر يقول

بالعنصر او الجنس من ذكر ما هو . وبوسعنا ان نأخذ ، كنقطة انطلاق لا غير ، بالتحديد التقريبي الذي يعرضه العالم هانكينس ، بقوله عن عنصر بشري انه جماعة كائنات بشرية تتميز عن غيرها بفارق فيزيائي واحد او اكثر . اما قولنا عن التحديد بأنه تقريبي ، فلأن الفارق هذا المميز لن يتواجد قط في جميع افراد العنصر على الاطلاق ، بل في الاغلبية الساحقة منهم على الاكثر ، ولان الفارق هذا ليس تام الثبوت دوماً بين جنس و جنس . فان قلنا مثلاً بأن اليابانيين هم قصار القامة ، وهم يتميزون بذلك عن سكان اوربا الشمالية الطويلي القامة ، فهذا لا يعني طبعاً بأن اليابانيين برمتهم لهم القامة عينها ، وبأنهم جميعاً اقصر قامة من النرويجيين مثلاً . وان هذه التقريبية ذاتها تدعونا الى الحذر من التعميم المتسرع . فاذا ما طرقت سمعنا بأن فلاناً هو دانمركي ، فلا يحق لنا ان نستنتج فوراً بأنه طويل القامة . وكذا القول عن الفوارق النفسانية والعقلية . وان كانت هناك فوارق طبيعية بين عنصر وعنصر ، فاي الفارق هو الذي يصح استعماله كمقياس لتفضيل عنصر على غيره ؟ هل هو لون الجلد

عنصر واحد . فلا معنى لقولنا العنصر اللاتيني او الارباني او السامي الا في مفهومه اللغوي لا غير . اجل ، ثمة فوارق بين سكان افريقيا وسكان اوروبا، فهناك افريقيون سود واوربيون بيض وشعوب صفراء او سمراء اللون ، بيد ان اسبابها لن تتعدى عوامل البيئة والثقافة والمعيشة . حتى لقد قال احدهم بانه يكفي اكتشاف البترول في ارض شعب يعد احط منزلة وعنصراً ، ليلغ ذلك القوم رقيماً ييز به اكثر الشعوب حضارة وتمدناً . فما الفوارق كلها سوى فوارق عرضية ليست الا .

ويستحيل في الوقت الحاضر تكوين فكرة واضحة عن رأي يقبل به اغلبية العلماء في شأن وحدوية الجنس البشري او تعدد اصوله . فمن العلماء من لا يزال يتمسك بالكثرة ، ومنهم ، وقد راح عددهم يزداد من جديد في هذه الاعوام الاخيرة ، من يدافع عن الوحدوية ويجاول وضع شجرة تناسل واحدة للبشرية جمعاء ، مما يجد بالتالي الكثير من دواعي التفرقة العنصرية . كما لم يبق اليوم اية قيمة لمحاولات اجريت سابقاً بشأن ارجاع هذا الجنس

بتغيير شكل الرأس وفقاً لرعاية الطفل في صغره ، اي بموجب الحالة التي يوقد الطفل بموجبها . فلم يكن على حق الغزاة والمستعمرون البيض الذين استعبدوا السود وابعوهم رقيقاً ، بحجة انهم من عنصر بشري متميز عن عنصرهم واحط مستوى من الاقوام والشعوب الباقية .

وهي هذه الحقيقة الدامغة تجعلنا ان ننفي ، بكل حق ودون تردد البتة ، الصلة الوثيقة المزعومة من قبل البعض ، القائمة بين الفوارق الطبيعية الموجودة بين افراد وافراد وبين العنصر البشري ، او بين جنس بشري معين ووطن او بلد ما . وينجلي خطل الزعم الاخير حين نعرف بأن العنصر ان استند على اساس ، فعلى اساس فيزيائي غير تام الثبوت ، بينما يقوم الوطن او البلد على حدود جغرافية او اسباب سياسية . وتزداد الشقة توسعاً اذا ما رحنا نستشهد بالتاريخ ، فيطالعنا تمازج الشعوب واحتكاكها بل وانصهارها ببعضها ولاكثر من مرة واحدة على مدى العصور .

ولا اساس كذلك في ارجاع اقوام يتكلمون لغة مشتركة الى

احد الاجناس البشرية على غيره  
 الا آراء ليست من العلم بشيء .  
 فحق لبعض العلماء ان ينعتوا ذري  
 الاحكام العنصرية الباطلة الاسس  
 بمرضى عقليين ان دلت احكامهم على  
 امر فعلى انحطاط شخصيتهم الفردية  
 وثقافتهم لا غير . وحق للبابا بيوس  
 الحادي عشر ان يشهر بالمنظمات  
 التي تضع التفرقة العنصرية كاقصى  
 مراميها ، ويعدها « ججوداً يضا  
 روح ومعتقد وايمان المسيحية » .

البشري او غيره الى هذا الحيوان  
 القرد او غيره . بل يشتد الاحتمال  
 اليوم بأن البشر باسره يتحدرون  
 من حيوان قرد قد انقرض سلالته ،  
 ولم يتوصل العلماء الى اكتشاف  
 اي اثر لها .

وخلاصة هذه الاعتبارات هي  
 في عدم وجود هيرارخية عنصرية  
 تلقي اساساً لها في معطيات الواقع ،  
 وما الآراء في تقدم او تفوق

### الاستعمار

ونحن التكالب في السعي نحو التسليح  
 بعد خلق جو سليم التهوية ، يسود  
 فيه سلام ليس اساسه الخوف بل  
 الثقة المتبادلة والرغبة الحقة في التكايف  
 والتعاون . ولنلح ، ما زلنا في  
 هذا المجال ، تلميحاً خاطفاً الى قضيتين  
 هما في الاساس من قضايا الحياة  
 في بلادنا . فهل آماننا وتحقيقاتنا  
 للاتحاد العربي هي لتكوين شعب  
 ينافس الشعوب الاخرى لا غير ،  
 منحرفاً وراء تيارات الانانية والقومية  
 والشعوبية ، ام حياً خالصاً بالنهضة  
 بالشرق واتخاذ مستوى رفيع بين  
 امم وشعوب الارض ، وبالتالي ففي

ولعلنا لن نخطأ اذا ما ارجعنا  
 اسباب التمييز العنصري ، على الصعيد  
 الدولي ، الى الاهواء والمآرب الفردية  
 والنعرات الشعبوية ، سواء كانت  
 سياسية ام اقتصادية . فهذا الاستعمار  
 بجميع وجوهه وفي سائر حقباته  
 وفي كل البلدان التي خيم عليها  
 ظله الثقيل ، يشرح لنا جيداً هذا  
 الباعث الاول . ولن نتحل المشكلة  
 العنصرية على الصعيد العالمي الا  
 بتلاشي آخر شبر ظل للاستعمار ،  
 والاعتراف لجميع الدول بسيادتها  
 الذاتية واستقلالها التام ، وهدم  
 حواجز الفوارق الاقليمية والاقتصادية ،

صالح سائر الامم الاخرى ايضاً ؟  
وهل مشادتنا واسرائيل تتعدى  
النطاق السياسي والعاقل الى النطاق  
العنصري البغيض ؟

## والجهل

بنعرات متطرفة . وهذا كله اذ  
يسمو برسالة الصحافة ووسائل النشر  
والتثقيف الاخرى ، يجعلها شائكة  
وثقيلة العبء ، بيد ان ذلك يبقى  
من صميم رسالتها ، رسالة الحق ،  
والحقيقة غالباً ما تكلف ، وغالباً .  
وليس بكافٍ ان نتوقف عند  
هذا الحد وحسب ، بل ينبغي ان  
نمضي صعداً فنجعل مختلف الجماعات  
تعمل معاً وفي مشاريع وبحوث  
تتطلب تضافر قوى الجميع وتعاونهم .  
وقد تمت عدة تجارب في هذا  
المضمار ، فأتت بنتائج مشجعة ، من  
ثارها تكذيب التفوق المزعوم لقوم  
ما على الاقوام الآخرين ، والورد الذي  
ينشأ بين مختلف الشعوب حين  
تعرفهم على بعضهم .

اما الباعث الثاني فجهل او تجاهل  
الجماعات والاقوام البشرية لبعضها  
بعضاً ، لبعده المسافات او حوول  
الحواجز الشائكة في الحدود دون  
ذلك او صعوبة الحصول على معلومات  
واقية وسليمة من كل شائبة ، او  
الاعرب من ذلك ، بسبب تليفق  
دعاوة تطعن في قوم ما او تندد  
بالدول الاخرى . وكم قد سبب  
الجهل من نفور واحقاد وضغائن ؟  
ولرفع النزعات والكراهية والانتصار  
على الاحقاد القائمة بين الجماعات البشرية  
المتعددة ، ينبغي الاحتراز جداً في  
اختيار المعلومات والتأكد من صحتها  
قبل نشرها على علاتها او زيادة  
بلغة على طينتها ، وعدم التهور والتمسك  
بآراء علمية أمست اليوم دفينه او

## واستغلال العلم والدين

باسم العلم بتفوق جماعة بشرية معينة  
على غيرها ، ودليلهم مفهوم عنصري  
لا اساس له البتة ؛ بل لم يتورعوا من

اما السبب الثالث فافتراض اختلقه  
بعض الاشخاص وراحوا يوصمون به  
العلم حيناً والدين حيناً آخر . فنادوا

الانسان في علة كيانه ومنزله وشرفه ورسالته ، وسحقوا تحت الاقدام قيماً سامية وتراثاً بشرياً كاملاً . بيد اننا لسنا نلقي بالمسؤولية كلها على عاتق شخص واحد او نفر قليل ، بل انها مسؤولية الدولة والمدرسة والعائلة والمجتمع معاً . ولقد وعت الاجيال الطالعة خطورة هذه المسؤولية ، فأتت بتصريح اشترك في اعلانه ، باسم « شرعة حقوق الطفل » المثبتة من قبل المنظمة العامة للامم المتحدة عام ١٩٥٩ ، جميع الشعوب ودول العالم ، جاء في البند العاشر منه ، بانه « ينبغي حماية الطفل من المحاولة التي بإمكانها ان تدفع به نحو التفرقة العنصرية او الدينية او اية تفرقة اخرى . بل يجب ان يربى بموجب روح تفهم للشعوب وتعايش واياها ومصادقتها ، وبروح المسالمة والاخوة الشاملة ، مع الرغبة الخلوص في تكريس طاقاته وقواه في خدمة من هم شبيهون به . »

اما الدين ، كل دين ، فيبقى بعيداً جداً عن شبهات احاطه بها قوم مغرضون ، فهو مبعث الاخوة بين البشر كلهم ، لم يكن في يوم من الايام مدعاة الى التفرقة او بعث الحزازات والتباغض . فهذا

تحميل قدسية الدين تبعثة التفرقة العنصرية ، والدين في ذلك براء منهم . ولن ننسى هنا المفعول السلبي الذي خلفته آثار الحروب في القلوب من احقاد وكره وتحامل ضد الشعب العدو . وكثيراً ما اغتمت الحكام المسيطرون هذا الضعف البشري فاندفعوا يشددون على التمييز العنصري لمصالحهم واغراضهم ومطامعهم واذكاء نيران الحروب . فلنستمع الى هتلر ، ولنعتبر من مفهومه عن الدولة وعلاقة الدول فيما بينها اذ يقول : « ان رسالة الدولة والوطن هي في تسطير تاريخ عالمي تتسامى فيها القضية العنصرية الى مصاف العامل الرئيسي ... فعلى التوجيه والتثقيف ان لا يجعلنا من الشاب ، بعد انتهاء مدة دراسته ، محبباً للسلم او ديمقراطياً ، بل المانياً كاملاً . » ان هذه المفاهيم والاهداف هي التي ابادت الملايين بحجة انتمائهم الى جنس احط قدراً ، او لدواعي التخلص من رجال ضعيفي البنية والقوى العقلية وخلق عنصر طاهر وجليل جديد متكامل المزاي . ولم يعر النازيون ، ومن اخذ ويأخذ منحاهم ، بانهم باضطهادهم ذلك لم يضطهدوا عنصراً خاصاً او رجالاً معينين ، بل هم اهانوا

يونان او رومان او يهود ، بل كلهم واحد لانهم يشكلون والمسيح جسداً واحداً . واذا ما انحرف قوم ، حتى من رجال الدين ، وراء تيارات عنصرية او مطامع فردية وشنوا صليبيات وحملات ضد الانسان ، فهم لم يبقوا على دينهم ، اذ ان الدين الحق لا يمس قط قيمة المرء بل هو الذي يقيّمها وينيرها .

الدين المسيحي ، مثلاً ، يعتبر الناس قاطبة اخوة فيما بينهم لانهم جميعاً ابناء الله ، خلقهم على صورته ومثاله ، فلا يحق لاي كان ان يشوه صورة الله في شخص احد الناس ، ولجميعهم الغاية الاسمى الواحدة المشتركة ، جعلهم أهلاً لها السيد المسيح بتأنسه واقتدائه لهم كلهم بدمه الكريم ، حتى انه لم يبق بينهم عبيد او احرار ،

### الخلاصة

جماء ؟ .. كلا ، سوف لن تقبل الاجيال الطالعة بثلم ونواقص هي في الصميم من حضارتنا ومدنيتنا ، والتميز العنصري هو ، مع مزيد الاسف ، في الطليعة منها .

ولعلنا نجعل فائدة هذا البحث أعم واكبر اذا ما حصرنا زبدته في النقاط القليلة التالية :

١ - ليس ثمة من حجة واحدة بوسعها ان تقوم في سبيل دعم التمييز العنصري .

٢ - لا وجود لاساس ثابت في امكان بناء مفهوم العنصر بوجهه .

٣ - ثمة فوارق فيزيائية ونفسانية

ولنعد من هذا المطاف المتشعب الاطراف ، مع بقاء الوحدة في فكرته الاساسية ، لنعد الى نقطة الانطلاق ، فننعى على البشرية تخلفها في هذا المضمار رغم الانتصارات العجيبة التي حققتها والرتي والتقدم في ميادين أخرى عديدة . أترانا نقبل على ذواتنا ان تتعاقب اجيال عشرون على مولد المسيحية التي تقول باخوة جميع البشر وبالحمية الشاملة ، ونحن لا زلنا نأخذ بالتمييز العنصري ، ونحن منقسمون حتى ضمن اطار مسيحتنا ، ونحن لا نسعى باخلاص وراء السلم والتآخي ونعمل على خلق عائلة واحدة من البشرية

اثبات وحدوية الجنس البشري في الاصل ام لا ، فالبشر متشابهون فيما بينهم ، حتى في الظواهر ، اكثر مما هم متغايرون . اما من ذات طباعهم ، فالناس متساوون تماماً ، بل كلهم واحد زغم كثرتهم واستقلال شخصياتهم .

والنتيجة هي في ان « لكل فرد حق الاشتراك في جميع الحقوق والحريات التي اعلنت عنها شرعة حقوق الانسان - المثبتة من قبل منظمة الامم المتحدة في العاشر من كانون الاول ( ديسمبر ) ١٩٤٨ - من دون ما تميز لبواعث عنصرية او فروق لون او جنس او لغة او دين او مذاهب سياسية ، او لاسباب اخرى وطنية او اجتماعية ، او لتفاوت في الغنى ، او لدواعي الولادة وما شاكلها » . فالناس متشابهون ومتساوون ، والمفروض فيهم ان يكونوا كلهم اخوة ومتحدين ، بل واحداً .

وثقافية بين جماعة وجماعة وبين افراد الجماعة الواحدة ، ولكنها عرضية او مكتسبة بجملتها ، وفي وسعنا ارجاعها باسرها الى اختلاف البيئة وطرق المعيشة والتغذية والتهديب والعوائد والثقافة والتاريخ .

٤ - فلا تفوق اذاً لعنصر على آخر ، ولا وجود لفوارق طبيعية اساسية هامة بين جنس وجنس .

٥ - ان من يأخذ بالترفة العنصرية يشين صحة وكرامة العلم والواقع والدين .

٦ - يظل التقدم منقوصاً ببقاء آخر اثر للتمييز العنصري بين الافراد والجماعات ، فالمدنية السليمة المتكاملة هي اعتلان للحق ، بينما يصاد التمييز العنصري الحقيقة في كيانها .

٧ - فالتمييز العنصري مرض عقلي وخرافة من مخلفات تراث فاسد ، وبواعثه هي الجهل والخوف والحقد والانانية .

٨ - سواء توصل العلم يوماً الى

لم تكن خيوط الصبح قد استبانَت تماماً حين كان خليل كعادته يتنقل بين كرومه المعرّشة وبيده سلة كبيرة ، مرتدياً معطفاً عسكرياً قديماً ، ألقى في جيبه الواسع سكيناً كان يستعملها في دكانه ، وبيده الاخرى يقبض على عصاه الغليظة المعدة لل مفاجآت التي تفجؤه على حين بغتة ، وهو يرفع الكرمة عالياً ليقطف عناقيدها الناضجة : من ارنب محتبيء تحتها او سلوى او حجلة برية او حية .

كانت الارض ما تزال مغطاة بطبقة رقيقة من الندى ، والعناقيد المتدلّية قد تعلقت بها حبّيات من هذا الندى . وكثيراً ما كان يردد خليل وهو يقطف بحنو هذه العناقيد : سبحان الخالق ! وكلما قطف عنقوداً يروزه بين يديه قبل ان يلقيه في السلة ، ويتمم وهو منتعش لثمرة كده وعرقه : كيلو .. كيلو ونصف ! هذي ارض لا تُشمن بشمن . ويلتفت الى مزرعة محبوب الشامي الملاصقة لارضه ، ويضحك في سره : قال ابيعه ارضي ! لا أنت ولا ستائة مثلك يحدعوني .

وما يلبث ان يقطب وجهه : من اين طلعت علينا في آخر هالزمان يا حبيب ؟ الارض ارضنا قبل ان تخلق انت واجدادك .. الارض كنز ، من يبيع ارضه غير « العاطل » والابله ؟

كان خليل يمشي بتؤدة بين كرومه كضابط يستعرض جنوده ، يمايز بينها ، يصلح من وضع كرمة قلبها احد احفاده العفاريت على قفاها . واذا ما رأى شوكة او عرقاً من النباتات البرية يجانب احدى الكروم ، وهذا نادراً ما يكون الا في اطراف هذه الافدنة من الكروم التي يراها كما يرى احفاده سواء بسواء ،

يرتد عَجَبًا الى خيمته ليأتي بالفأس ويقتلع به الشوكة او العرق ؟  
ولم يكن ليخرجه عن طوره مثل ان يرى عنقوداً لوحته  
الشمس قبل ان ينضج ، ويدرك ان هذه فعلة احفاده الصغار  
الذين يبرون بالكرمة ويقطفون حبتين او ثلاثاً من عناقيدها ،  
فيذهبون بذلك بهيبة العنقود كما يقول خليل ، ويذبل العنقود  
قبل ان ينضج . وفي مثل هذه الحال لا يسب خليل احفاده ،  
ولكنه يجدها فرصة لان « يفش خلقه » بحجوب الشامي :

يلعن صباحك يا حجوب !

هكذا يطيب له ان يناديه . ولا يترك العنقود على حاله ، بل يداريه  
ما امكن ، كأن يجمله باوراق الكرمة كي لا يدع الشمس تطاله .  
كانت النسيمات الصباحية الندية تسري في اعطافه ، فيحس  
برعشة ناعمة رخية تذهب بأخر خيط من ارتخاء جسمه ، وتحيله  
كتلة صلدة ، فيلهلم من جسمه ، ويصدق باغنيته الشعبية التي  
يؤثرها على غيرها :

يا غزالي كيف عني ابعدوك !

وبعد ان استعرض فدان « جنب البير » وفدان « فوق الدرب » ،  
كانت الشمس قد تسلت من خلف الجبل الشرقي ، فخرج على  
الفدان « الجوزاني » ، هذا الفدان العزيز عليه ، والذي غرس  
كرومه بيده قبل سنوات ، والذي ينقرد من بين الافدنة كلها  
بعنقه البلوري الشبيه بالجوز ، ووقف الى جانب كرمة من هذا  
الفدان ، وبرفق رفع احد غصون الكرمة الجبلي بالعناقيد قائلاً :

الله يبارك ، هذا الفدان وحده يعادل مزرعتك يا حجوب ...  
انا ابيعك ارضي ! هه .. مسكين ، بعدك تجهل خليل وعقل  
خليل ، الارض كنز .. اذا كنت « العدل » فانا رباطه ، لا  
تغرني المصاري ، ولا بناية في الشام ، حتى ولو كانت مثل  
بيت « سرسق » .. آه منكم يا « صنايعية » ، غرّم حجوب بالمال :

الفدان بجمسمائه ، بستائة ، بالف ليرة ، والدرام « حطها على الجرح يطيب » والضيعة منحوسة ... رجال يستقبلون الشمس ويودعونها بين البيت والسوق ؛ بعتم ارضكم للشامي ، وفي ليلة ما فيها ضو قمر سلبكم الشامي ارضكم وانتم بين الضحك واللعب .. وتحولت نصف كروم « الارض الحمراء » للشامي ابن الشام .

تبدت « المعرة » لعيني خليل ببيتها القرميدية كوردة تفتتح من اكمامها بعد إذ ينهبها الفجر ، نافضة عنها رداء الظلمة ، وما هم ابناؤها يأخذون طريقهم خفاً الى الكروم .

والتفت خليل باتجاه قرية المقابلة لمعرة سيدنايا ، والراقدة بين حوافي الجبال ، فشعر بشي من الندم والحسرة ، ولكن ما بيده ؟ « ارض كانت تنبأها بها القرية ، اجدادنا كانوا يقولون : الارض الحمراء كنز يا اولاد ... من دلّ هذا الغني عليها ؟ اما تكفيه الشام وخيراتها ؟ لما قلت لكم : اياكم ان تبيعوا ارضكم للشامي ، كنتم تقولون : هذي الارض ما منها فائدة ، اذا سلمت من الدودة ، فلا تسلم من الناطور ... بع ارضك يا خليل ، فرصة لا تصير كل يوم ، هذا الشامي يدفع لك عشرة آلاف ليرة ، تشتري بناية في الشام وتعيش سلطان زمانك . اليوم عرفتم قيمة الارض .. آه .. انظروا الى ارضكم السابقة وتحسروا ! والله يا حبوب لا تطول شبراً من ارضي لو تطلع الى السماء ... انا ابيع ارضي ! هه » .

وودّ خليل ان يمر عليه الناطور قبل ان تدب الحركة بين الكروم : « فأن يتفقد الناطور الكروم المكلف بجمايتها على ضوء القمر ونجمة الصبح ، متقلداً الجفت بكثفه وتحت ابطه عصا مدبية ، محتدياً مركوباً عسكرياً ، ومثلماً بكوفية ، يهيم بين الحين والآخر همهمة تميزه من غيره ، يمر بالنائمين في كرومهم ويوظفهم دون ان يتوقف عن سيره : ما شاء الله ، بعدكم نائمين .. قوموا ، قوموا ، سرقتمك الشمس » ! فهذه هي برأي خليل الرجولة

بمعناها الصحيح . وسخر من الناطور الذي ينام حتى مطلع الشمس ، ثم يهتف بأعلى صوته المجلجل : يا ه .. و .. و .. حتى وان لم يكن ثمة داع لهذا الهتاف . ومرات عديدة اعلن خليل عن رأيه بالنواظير امام رجال الضيعة وكبارها : « الناطور اذا ما كان مثل السبع ، فالعصا المنصوبة في الكرم افضل منه » . وهو لذلك يوزع وقته طوال فصل الصيف بين اراضيه المتفرقة ، ولكن مدة القطف يمضيها دوماً في الارض الحمراء .

ومذ ابتاع محبوب الشامي قطعة كبيرة من هذه الارض وحوطها الى مزرعة ، ازداد تعلق خليل بأرضه . ففي أول موسم القطف ينصب خيمته في الفدان المحاذي للزرعة ، يبيت ليله فيها ، ويقضي نهاره في التنقل بين الأقدنة ، وان كان يأسف على شيء فعلى تقدمه في السن :

« ابن سبعين والارض يلزمها سواعد .. وأحفادي ما عادت تعجبهم الأرض » .

\*\*\*

كان خليل ما يزال في الفدان الجوزاني حين مرّ عليه رجل من ابناء معرة صيدنايا ، وتربث عنده برهة وتبادلا التحية :

— على العافية .

— الله يعافيك ، حوّل .

— عشت .

— هذه سنة خير ، الله يبارك ، كرومك مثل العرائش يا خليل :

— هذه الأرض كانت مشهورة من زمن أجدادنا ، الأرض

الحمراء وبس ..

وقبل ان يتابع ( المعراوي ) طريقه ، قال له كمن يحسده :

— ما احد كسبها غيرك يا خليل ، الكل باعو الا أنت .

فأجاب خليل باعتداد :

— الأرض ما هي بيعة فجل يا رجل .

بقلم يوحنا فويجات

في مجرى سنة ١٨٧٦ ، ثارت الشعوب البلقانية ضد الاتراك مطالبة باستقلالها ، وانتفض البلغار والصرب والبشناق يريدون تحطيم النير العثماني . وهبت في روسيا موجة وطنية عارمة تدعو الى خوض الحرب الى جنب اخوانهم بالدين - لانهم كلهم من السلاف الارثوذكس . لكن الامير « فيازمسيكي » قاوم هذه الفكرة بشدة . ها هو يكتب الى احد اصدقائه مبنياً له رأيه في القضية :

« هل من واجبنا ان نتحمل الالوجاع في جسمنا ونضحّي بدمنا ، ولربما بازدهارنا المقبل ، لاجل ازدهار الصرب والبلغار ؟ الصرب للصرب ، والبلغار للبلغار ، والروس ايضاً للروس ! انه لجنون كبير ان نعد انفسنا سلافاً اكثر مما نحن روس . فالدين لا دخل له هنا ، والحروب الدينية انما هي اكره الحروب ! »

ان هذه الاسطر تعبر في الوقت نفسه عن فكرة الامبراطور اسكندر الثاني . لقد اكدها مراراً امام وزرائه ، وشرح موقفه هذا لخليلته « كاترين - ميكايلوفنا دولغوروكي » ، مضيفاً الى الاسباب السياسية المتقدمة كرهه الشديد للحرب وبشاعاتها . لكنه لم يستطع ان يقاوم الرأي العام بأسره ، فالتزم ان يخضع للشعب الهائج ، ويأمر بجمع الجيوش . وهكذا اخذ يستعد للقتال .

وفي الرابع والعشرين من نيسان سنة ١٨٧٧ ، اعلنت الامبراطورية الروسية الحرب على السلطنة العثمانية . وفي اليوم نفسه زحف جيش القوقاز على ارمينيا تحت قيادة احد اخوة الامبراطور ، الدوق الكبير ميشال ؛ كما ان جيش بيسارابيا اتجه نحو الدانوب ، يرأسه قائد القوات الروسية الدوق الكبير نيقولاوس شقيق الامبراطور ايضاً .

لكن نقل هذا الاخير استغرق وقتاً طويلاً ، اذ لم يكن تحت استعماله سوى سكة حديد واحدة ، بحيث ان هؤلاء ال ٢٣٣٠٠٠ جندي لم يصلوا الى الضفة اليسرى الا بعد مضي شهر ونصف تقريباً ! وانتظر الروس هناك زمناً غير قصير ، بسبب فيضان النهر ، قبل ان يجتازوا الى الضفة الشمالية ، حيث تصدى لهم الاتراك ، فدارت بين الاثنين معركة حامية كانت لصالح الروس .

وتابع هؤلاء نجاحهم الاول ، وتقدموا بسرعة داحرين اعداءهم . غير ان الاتراك لموا شملهم وتهيبوا للمقاومة ، بعد ان تحصنوا في مدينة « بلقنا » ؛ وكانوا اكثر عدداً من الروس ، فاستطاعوا ان يكسروهم في العشرين من تموز ، واضعفوا بذلك معنويتهم ، اذ قتلوا منهم اكثر من الف رجل .

بعد عشرة ايام هاجم الروس المدينة من جديد ، غير انهم لم يفلحوا ، وتراجعوا مرة اخرى تاركين وراءهم عدداً اكبر من الضحايا بين قتلى وجرحى .

وفي الوقت ذاته التزم جيش القوقاز بالتخلي عن الاراضي التي احتلها في البدء ، ثم ان الدوق الكبير ميشال رأى نفسه مضطراً الى اخلاء ارمينيا التام ؛ فانقض عليه رجال مختار باشا اثناء انسحابه ، واعملوا السيف في رقاب الروس .

وما عتمت انباء هذه الانكسارات ان انتشرت رغماً عن الرقابة الصارمة التي فرضت على الجرائد والمنشورات . وتأزمت الحالة النفسية في الشعب الروسي ، الذي اخذ ينعت القواد بعدم الكفاءة . وتلبد الافق السياسي بالغيوم : فان انكسارها اخذت تهدد الامبراطور بالتحالف مع تركيا ، اذا طالت مدة الحرب . عند ذلك تغلب اسكندر الثاني على انفته الطبيعية

وعزة نفسه القومية ، وطلب من دولة رومانيا جارتة نجدة عسكرية ،  
فارسلت هذه ٤٠٠٠٠ جندي ، يقودهم الامير شارل ، ليساهموا في  
حصار « بلفنا » .

وجرب الروس مرة ثالثة ان يستولوا على المدينة ، تساعدهم العساكر  
الرومانية ، فانقضوا عليها في الثاني عشر من ايلول . ولاقام الاتراك  
بشجاعة نادرة ، ودافعوا دون هوادة ، فلمعت السيوف وبرقت الحراب ،  
وتقابل الفرسان وتشابكوا ، فسالت الدماء غزيرة من الجانبين . ومال  
النصر ، بعد تردد ، نحو الاتراك ، فرجع الروس والرومان خائبين . وقد  
سقط من ال ٨٠٠٠٠ مهاجم نحو ١٤٠٠٠ قتيل في هذه المعركة التي لم  
تدم اكثر من ساعتين فقط !

علم اسكندر الثاني بتلك الفاجعة الدامية ، ففاضت عاطفته الرقيقة في  
هذه الصلاة التي بعثها الى خليلته كاترين :

« هلم يا الهي الى معونتنا ، وأنه هذه الحرب البغيضة لمجد روسيا  
وخير المسيحيين .

هذا صراخ القلب الذي يخصك ، ولن يفهمه احد مثلك ، يا معبودتي ،  
يا كنزي ، يا حياتي !

وكان على الامبراطور ان يقرر اكمال العمليات الحربية في الشتاء  
او ايقافها . فدعا لذلك جمعاً حربياً ، وفحص معه الوضع الراهن . وبدأت  
على وجوه الجميع علائم الحيرة والاضطراب : ايطلبون قوة جديدة ؟ ولكنها  
لن تصلهم الا بعد شهرين ! وفي حال وصولها ، ايقاتلون في الشتاء ،  
والبرد في بلغاريا قارص ، والثلوج كثيرة ؟ انهم يخافون بحق من التيفوس  
والكوليرا ، وهي اشد خطراً عليهم من الاتراك ! غير ان الشعب كله  
في هياج ، يطلب بالراح متابعة القتال ، وهو يأبى ان تذهب كل الجهود  
والاعتاب التي بذلها ابناءؤه مع دماء الستين الف قتيل دون ثمرة ولا فائدة !

لا شك ان التراجع الى ضفة الدانوب الجنوبية افضل من الجهة  
الاستراتيجية ، لكن السياسة لم تسمح بهذا ؛ فصدر امر امبراطوري الى

القواد ، بعد انقراض الجمع ، بعدم اخلاء الاراضي البلغارية . ولم يرد  
اسكندر الثاني ان يعود الى بطرسبرج ، رغم ما اعتراه من الضعف  
والشجوب . والحج عليه الاطباء ، فأجابهم :

انني لن افارق جيشي قبل ان نستولي على « بلقنا » !

لكن الاتراك ثبتوا في مقاومتهم ، تحت امرة عثمان باشا ، غير مهتمين  
للجوع ولا مكترئين للبرد ، وكانوا ٦٠٠٠٠ رجل ، محاصرين ضمن قلاع  
بدائية ، منفصلين عن العالم : لا اغذية تصلهم ، ولا ذخائر . وقد فتك  
بهم الجوع والتيفوس . مع كل ذلك استطاعوا ان يصدوا هجمات ثلاثة  
جيوش روسية ، يساعدها ٤٠٠٠٠ روماني ، مع الحرس الامبراطوري بأسره !!!

تأكد الروس ان الاستيلاء على « بلقنا » بالقوة امر يتعذر حصوله ،  
ففرضوا عليها حصاراً كاملاً ، وقطعوا عنها جميع المواصلات ، وباتوا بانتظار  
اليوم الذي يستسلم فيه الاتراك من تلقاء انفسهم ، تحت ضغط المدافع  
الدائم وعذاب الجوع الموجه .

وفي الثاني عشر من تشرين الاول ، ظن القائد نقولاوس ان هذا  
اليوم قد جاء : لقد اخبره بعض الاتراك الذين أسروا مؤخراً ان طعام  
رفاقهم المحاصرين اليومي كان يتألف من خمسين غراماً من الخبز ، وقبضة  
رز ، مع قليل من الذرة ( ثلاث سنابل ) ! فأرسل نقولاوس فوراً الى  
خصمه عثمان باشا ، يذكره بأن الاستسلام في مثل هذه الحالة اصبح  
واجباً انسانياً عليه للاحتفاظ بحياة رجاله ؛ وختم عرضه قائلاً :

« انني ارى في شخصك وفي الجنود الموضوعين تحت اوامرك مقاتلين  
مستحقين الاعتبار . وسأعرف ان احترمكم واقدركم حق قدركم ! » .

فرد عليه البطل التركي :

« مع انني اشارك جلالتك في عاطفة الانسانية التي تفضلتم فعبّرتم  
لي عنها ، لا استطيع ان انتزع السلاح من يد جنودي الابطال . وقد  
قصدت مع جيشي الشجاع ان نسفك حتى آخر نقطة من دمنا في سبيل  
مجد وطننا والدفاع عن حقوقه ! » .

بعد خمسة ايام من هذا الجواب النبيل ، تلقى الامبراطور خبر استيلاء جيش القوقاز على قلعة منيعة في ارمينيا ، كانت قد صمدت في وجهه مدة اربعة اشهر ؛ وانتشر الخبر بين الجنود ، فقوى معنوياتهم وشدد عزائمهم .

وشاهد الحرس الروسي صباح العاشر من كانون الاول حركة كثيرة وانتقالات متنوعة ، تقوم بها العساكر التركية ، التي اوضحت تعدد ٣٨٠٠٠ رجل فقط . وما عم هؤلاء ان انتشروا في السهل امام المدينة ، ووثبوا على تحصينات الروس بشجاعة واقدام . ولم تمضِ ست ساعات حتى استولوا على خط الدفاع الاول . لكن المدافع الروسية كانت تقذفهم بقنابلها دون انقطاع . وحدث ان اصاب عثمان باشا بجراح خطيرة . فعرف هذا البطل ان كل مقاومة باطلة . حينذاك ، حينذاك فقط ، خضع للقضاء واستسلم مع بقايا جيشه الابي .

وفي الغداة حضر الامبراطور في احدى قلاع المدينة ، مع قواد جيشه ، صلاة ، امر باقامتها شكراً لله على هذا النصر السعيد . ثم اخذ يوزع المكافآت والمداليات .

كانت هذه الحفلة قد اشرفت على نهايتها ، حين سمع الحاضرون ضجيج عربة تقترب منهم . وتطلعوا ، فاذا عثمان باشا جالس في وسطها ، تغطي جسمه اللقائف والضمادات : لقد امره الامبراطور بالمثل بين يديه ، طالباً منه ان يسلمه سيفه . ولما بلغ القائد التركي هذه الارادة القاسية التي تنكرها روح الفروسية الحقة ، اجاب :

— اظن انني لم استحق هذا الاذلال المتناهي !

وصلت العربة الى القلعة حيث كان الامبراطور مع اركان حربه ، فأنزل عثمان باشا جنوده ، وحملوه الى امام العرش . ورغم ضماداته وجراحه لم يرض ان يساعده احد في سحب سيفه من غمده . ثم انه قدمه لغالبه بجرعة كلها نبل وشهامة . اما اسكندر الثاني ، فاكتفى بلمسه ، و اشار الى صاحبه قائلاً :

— انني اعيد سيفك اليك ، فاحتفظ به برهاناً لتقديري واعجابي !

# لبنان والفاثيكان

العلاقات المتبادلة بينهما من صدر النصرانية حتى اليوم

بقلم لحد خاطر

٩

## بطريركية السريان الكاثوليك

من هم السريان الكاثوليك

هم فئة من الآراميين السريان سكان سورية ولبنان ، نهج بطاركتهم في اتصالهم برومية نهج بطاركة الروم الكاثوليك ، فكانوا في اول امرهم يعتقدون ان للكنيسة الرومانية المقام الاول بين سائر الكنائس ، وينقادون لرئيسها ويراجعونه في امورهم الدينية ، الى ان تطرقت اليهم البدع ، اخصها بدعة اليعقوبية ، فانفرطت بينهم وبينها علائق الاتحاد والائتلاف ، وتشيعوا الى ست بطريركيات ( راجع المشرق ٢١ : ٤٩٤ ) .

ثم عاد فريق منهم فأبرم عهود الطاعة والوصال مع خلفاء بطرس ، من هؤلاء البطريرك اغناطيوس داود ( ١٢٢٢ - ١٢٥٣ ) ، الذي كتب اليه البابا غريغوريوس التاسع ( ١٢٢٧ - ١٢٤١ ) بطرىء فضيلته ويضمه الى

رهب اجبار الكنيسة الكاثوليكية . وعلى كرور الاحقاب نهج ذلك النهج  
النواب الرسوليون السريان الذين تولوا رعاية السريان الكاثوليك ، واقاموا  
منذ صدر القرن الثامن عشر في دير مار افرام الرغم ، الواقع في لحف  
الشبانية من اعمال المتن في لبنان ، اذ كان هؤلاء يرسلون الكرسي  
الرسولي في شؤونهم ومسائل رعاياهم ، بدءاً من المطران غريغوريوس نعمة  
قدسي ، والمطران جبرائيل فيزون ، والمطران شكرالله جروه ، والمطران  
يوسف قدسي ( عن معلومات لصديقنا العلامة الطيب الاثر الحورفسقفوس  
اسحق ارملة المؤرخ السرياني الكاثوليكي المعروف ، اتحفنا بها قبل وفاته .  
رحمه الله ) .

### اتصالهم بالبابا منذ القرن السابع عشر

#### اغناطيوس اخيجيان

وقد توثقت صلات بطاركة السريان الكاثوليك الانطاكيين بالكرسي  
الروماني ، في عهد البطريرك اغناطيوس اندراوس اخيجيان ( ١٦٣٢ -  
١٦٧٧ ) ، ويظهر مما كتبه الدبس في تاريخ سورية ( جزء ٨ صفحة  
٧١٣ ) ان هذا البطريرك كان في لبنان وهو شاب ، واتصل بالبطريرك  
يوسف العاقوري الماروني ( ١٦٤٤ - ١٦٤٨ ) ، فاعتنى هذا باجتذابه الى  
الايان الكاثوليكي ، وارسله خلفه البطريرك يوحنا الصفراوي ( ١٦٤٨ -  
١٦٥٦ ) الى مدرسة الموازنة برومية ، فتمتقف بالعلوم ، ثم رسمه البطريرك  
نفسه كاهناً فاستقفاً سنة ١٦٥٦ ، وارسله الى حلب مصحوباً بالقس اسطفان  
الدويهي الشهير ( الذي صار بعد حين بطريركاً ) ، فرداً كثيرين من  
السريان اليعاقبة الى الكنيسة . ولما توفي اغناطيوس سميان بطريرك اليعاقبة ،  
رقي المطران اغناطيوس اندراوس اخيجيان ، بمساعدة السيد فرنسوا بيكيت  
قنصل فرنسة هناك ، الى الكرامة البطريركية ، وذلك في آب من سنة  
١٦٦٢ . وللحال ارسل البطريرك الجديد صورة ايمانه الكاثوليكي الى الكرسي  
الرسولي ، فثبته البابا اسكندر السابع بطريركاً على السريان الكاثوليك .  
وقد توفي هذا البطريرك في تموز من سنة ١٦٧٧ .

## اغناطيوس شهادين

وخلفه البطريك اغناطيوس شهادين سنة ١٦٧٨ ، ونال براءة التثبيت ودرع الرئاسة من البابا اينوشنسيوس الحادي عشر ( ١٦٧٦ - ١٦٨٩ ) ، على يد موفده الاب مخايل نو سنة ١٦٧٩ ، على انه لم يلبث ان لاقى في حلب صنوف الاضطهاد ، فاضطر الى ان يسافر الى رومية عارضاً امره على البابا اينوشنسيوس الثاني عشر ( ١٦٩١ - ١٧٠٠ ) ، فاعاده الى اسطنبول مع كتاب توصية الى سفير فرنسا ، وبمساعدة السفير استحصل على فرمان تأييد من السلطان ، وعاد الى حلب . على انه ما كاد يطأها حتى اعتقل سنة ١٧٠١ ، بحجة انه يذكر البابا في صلاته ( عن رسالة قنصل حلب في محفوظات دير الكبوشيين في اسطنبول ) ، ثم نقي الى قلعة اطنه مع بعض كهنته مقيداً بالاغلال ، واقام فيها يكابد صنوف العذابات ، الى أن توفي شهيداً في ٤ اذار من سنة ١٧٠٢ .

## اغناطيوس مخايل جروه

وبعد وفاة هذا البطريك لم يبق للسريان الكاثوليك بطريك آخر الا في سنة ١٧٨٢ ، اذ اعتق المطران ديونيسيوس مخايل جروه الايمان الكاثوليكي مع اربعة اساقفة آخرين ، ومن ثم عقد واياهم مجعاً انتخب فيه بطريكاً بمساعدة القنصل الفرنسي باسم اغناطيوس ، واقام في دير الزعفران في ماردين سنة وسبعة اشهر ، ولكنه لم يقوَ على الثبات هناك لشدة ما لاقاه من اضطهاد ، فانزح الى الموصل ثم الى بغداد ، ونزل في هذه الاخيرة بدار المرسلين الكرملين تحت حماية قنصل فرنسا السيد روسو . ومن هذه الدار كتب الى رومية يطلب براءة التثبيت ودرع الرئاسة ، فقرر البابا بيوس السادس ( ١٧٧٥ - ١٧٩٩ ) منحه اياهما في ١٥ كانون الاول سنة ١٧٨٣ ، ولكنه لم يتمكن من ارسالها اليه ، لوفرة اخطار الطرق في تلك الايام .

ولم يلبث البطريك ان رأى الاضطهادات تتهدده من كل جانب في بغداد ، فقرر الانزح الى لبنان معقل الحرية الدينية في ذلك العهد ،

فسافر قاصداً ربوعه في ليل ٦ آذار من سنة ١٧٨٤ ، وهو مُتتَكِرٌ بزي درويش ، وكان وصوله اليه في ٣٠ من الشهر المذكور ، وحلّ أولاً في بلدة بيت شباب ، مقيماً في منزل يقع في قلب البلدة ، يعرف حتى اليوم ببيت البطرك ، ومنه انتقل بعد مدة الى دير مار انطونيوس النبع للرهبان اللبنانيين الموارنة ، ومن هذا الدير رفع عريضة الى البابا بيوس السادس يخبره فيها بما حدث له من غوائل ، فأجابه الخبر الاعظم هيئته بنجاته ، وبعث اليه بالدرع المقدسة ، فتوشح بها في ٢٥ نيسان من سنة ١٧٨٥ ، بعد ان انتقل الى دير الشرفة ؛ وكان الحوري يوسف مارون الطرابلسي قد بنى هذا الدير سنة ١٧٥٧ ، فلما حلّ البطريك جروه في بيت شباب ، تقبله البطريك الماروني وأعيان طائفته ولاسيما آل خازن بالاعزاز ، وسلموه الدير المذكور في محلة الشرفة لسكناه ( الدبس جزء ٨ صفحة ٥٩٩ و٧١٤ ) . وبعد ان رمّمه قضى فيه اكثر ايامه ، الى ان توفي في سنة ١٨٠٠ .

### اغناطيوس ظاهر

وبعد هذا البطريك قام من السريان في لبنان عدة بطاركة على قاعدة الاتصال بالحبر الروماني ، نذكر منهم البطريك اغناطيوس ظاهر . انتخب سنة ١٨٠٢ ، وثبته البابا بيوس السابع ( ١٨٠٠ - ١٨٢٣ ) في ٢٠ كانون الاول من سنة ١٨٠٣ ، واستقال من البطريكية سنة ١٨١٠ ، وبقي الكرسي بعده فارغاً زمناً .

### غريغوريوس سيمان زورا الموصلی

كان مطراناً على اورشليم . انتخب بطريكاً باسم غريغوريوس سيمان الموصلی ، ولكنه استقال بتمام رضاه قبل ان يبلغه تثبيت الحبر الروماني ، كما يظهر من اوامر المجمع المقدس الصادرة بهذا الشأن ، في ٢٠ حزيران سنة ١٨١٨ ( تاريخ الدبس جزء ٨ صفحة ٧١٥ ) .

### اغناطيوس بطرس جروه

وبقي الكرسي فارغاً الى ان اجتمع الاساقفة في دير الشرفة ، وانتخبوا

في ٢٥ شباط سنة ١٨٢٠ بطريكاً اغناطيوس بطرس جروه . وبعد انتخابه بعدة سنين سافر الى رومة فتقبل من يد الحبر الاعظم البابا لاون الثاني عشر ( ١٨٢٣ - ١٨٢٩ ) درع التثبيت في ٢٨ كانون الثاني من سنة ١٨٢٨ ، وبعد اقامته زمناً طويلاً في لبنان سافر الى حلب لتفقد شؤون رعيته ، فاعتدى عليه بعض الرعاع بالضرب ، واخذوا يجرونه على الحضيض ، وهو في الرابعة والسبعين من عمره ، الى ان خلاصه من يدهم الحاج عثمان الحمصاني ، واخذه الى بيته ، فضمده جروحه ، ثم نقل الى دار قنصلية فرنسا . وقد مات بعد عام في مثل اليوم الذي اعتدى عليه فيه ، متأثراً من اوجاعه . وكان ذلك في السنة ١٨٥١ .

### اغناطيوس بطوس سمحيري

انتخب في دير الشرفة بلسان سنة ١٨٥٣ ، وارتحل الى رومية فرحب به الحبر الاعظم البابا بيوس التاسع ( ١٨٤٦ - ١٨٧٨ ) ، وعانقه واصغى الى احاديثه ومطالبه بواسطة ترجمانه ، ووشحه صباح ٢ تموز ١٨٥٤ بالدرع المقدسة ، وكتب له رسائل توصية الى اقطاب الدولة الفرنسية ، اذ كان قد أخبره بانه سيسافر من رومة الى باريس ، ولما جاءها حظي بمقابلة نابليون الثالث والامبراطورة اوجيني ، ونال لديها كثيراً من الحفاوة ، وعاد من باريس الى رومة فقابل البابا تكررآ ، ورجع الى الشرق معزراً ، وبني داراً بطريكية في ماردين اقام فيها ، الى ان توفي في السنة ١٨٦٤ .

### اغناطيوس الرحاني

وقام بعده بطاركة آخرون من السريان الكاثوليك سكنوا خارج لبنان ، فأثرت اغفال ذكرهم . وفي سنة ١٨٩٨ رابع تشرين الاول ، انتخب بطريكاً اغناطيوس افرام الرحاني من تلاميذ مدرسة البروباغندا ( او نشر الايمان ) ، وبعد اثني عشر يوماً من انتخابه فاز ببراءة التثبيت ودرع الرئاسة من البابا لاون الثالث عشر على يد موفده الحورفسقفوس

يوسف هيرا ، واستدراكاً لما قد يحصل من التقلبات والاعتداءات على كرسي البطيركية حيث كان سابقاً ، عوّل على نقله الى بيروت بالنظر الى ما كانت تتمتع به آنذاك من رقي وحضارة ، ولانها كانت على رمية حجر من لبنان معقل الحرية والاطمئنان .

وفي ٢٤ شباط من سنة ١٩٠٢ ، اقام مع حاشيته في الدار البطيركية المخاذية لكنيسة القديس جرجس السريانية شارع سورية ، وصرف فيها كل حياته ساعياً في تعزيز العقائد الدينية . وكان على اثر وفاة البطيرك سلفه ( السيد هنام ) سنة ١٨٩٧ قد زار الاعتاب الرسولية ، فأبدي له الاب الاقدس ارتياحه الى صيرورته بطيركاً .

وفي سنة ١٩٠٩ زار رومية ايضاً ومثل بين يدي البابا بيوس العاشر ( ١٩٠٣ - ١٩١٤ ) ، الذي اتحفه بخاتم حبري و صليب ذهبي ، وقدم له الكردينال ماري دلفال كأساً ذهبية وآنية بيعية ، وسعى في سنة ١٩٢٠ لدى البابا بنادكتوس الخامس عشر ( ١٩١٤ - ١٩٢٢ ) في جعل مار افرام السرياني معلماً للكنيسة الجامعة ، فنجح في سعيه .

وفي سنة ١٩٢٧ زار البطيرك البابا بيوس الحادي عشر ( ١٩٢٢ - ١٩٢٧ ) ، وهنأه بيوبيل المدرسة الاوربانية ، فاحتفى به الخبر الاعظم ، وبما قاله له حين الوداع : « بلّغ اهل الشرق اني احبهم حباً جمّاً واهد اليهم جميعاً تحياتي الخاصة » . وقد توفي هذا البطيرك في ٧ ايار سنة ١٩٢٩ .  
( مجلة الآثار الشرقية عدد حزيران وتموز ١٩٢٩ ) .

### الكوردينال اغناطيوس جبرائيل تبوني البطيرك الحالي

انتخب بطيركاً في حزيران من السنة نفسها ، وكان الكرسي الرسولي قد عينه نائباً ومديراً للبطيركية منذ اشتدّ المرض على سلفه . وفي حال انتخابه طيّر الخبر الى الخبر الاعظم فأبرق اليه وزير خارجيته الكردينال غسپاري هينته ويهدي اليه البركة .

وفي تموز سافر الى رومية ، فاستقبله البابا بعطف ابوي ، ومنحه براءة

التثبيت في ١٥ تموز، ووشحه بالدرع المقدسة بيده الكريمة صباح ٦ آب، في حفلة سائقة اقيمت في قاعة الكونسرفاتوار، وفي آخرها اذن الحبر الاعظم المصور بان يأخذ رسمه مع البطريرك وحاشيته.

وفي آخر تشرين الثاني من سنة ١٩٣٥ وردت اليه بشري من البابا بيوس الحادي عشر (١٩٢٢ - ١٩٣٧)، بانه قد قرر ترقيته الى الرتبة الكردينالية السامية، المعتبر حاملوها لدى الملوك والرؤساء بمثابة امير من امراء الاسر الملكية؛ فسافر الكردينال الجديد الى المدينة الابدية من بيروت يوم الخميس ٥ كانون الاول، يرافقه المطرانان قليان وبجاش والحورفسقفوس حلبية، على باخرة ترفع العلم البابوي تكريماً. ولدى وصوله في ١٠ منه قوبل بمجفاوة بالغة ونزل في الاكاديمية الفرنسية، وفي اليوم الثاني قابل الاب الاقدس فتلقاه بعواطف الابتهاج، واقامت حفلة تسليمه بطاقة التعيين في صباح ١٦ منه في قصر المجمع الشرقي، وقد حملها اليه ساع خاص من قبل الاب الاقدس، وهي تحتوي على العبارة التالية: «ان الاب الاقدس البابا بيوس الحادي عشر قد اصطفاك لتكون كردينالاً، لما توسمه فيك من الجدارة والصفات اللائقة بهذا المنصب السامي».

وفي اليوم التالي التأم الكرادلة الجدد في الفاتيكان بحضرة البابا، وتليت اسماؤهم، فكان الكردينال تبوني الثاني منهم في العدد، ثم وزعت عليهم القبعات الكردينالية الحمراء الصغيرة. وفي يوم آخر اهديت اليهم القبعات الكبرى، وهذه تحفظ عادة في الكنيسة التي يعينها البابا لكل منهم، وتعلق فوق ضريح الكردينال بعد موته.

وقد عين الحبر الاعظم للكردينال تبوني كنيسة خاصة به من كنائس رومية اسوة بغيره، هي كنيسة الاثني عشر رسولاً. ويروى ان الاختيار وقع على هذه الكنيسة لانها تضم بين جدرانها ضريحاً لاول كردينال شرقي.

وبما يخلق ذكره ان الحبر الاعظم حين خطب في الكرادلة الجدد وهم في ذلك الاجتماع، خصّ الكردينال تبوني وحده بينهم بكلمة ثناء، ولم

يذكر اسم احد منهم غير اسمه . ولهذه الظاهرة مغزاها الغني عن الايضاح .  
وفي اواسط كانون الثاني من سنة ١٩٣٦ ، عاد الكردينال الجديد الى  
لبنان ، بعد ان عينه الحبر الاعظم عضواً في مجمع نشر الايمان وفي المجمع  
الشرقي وفي مجمع املاك الكنيسة الملكية للقديس بطرس .

ومنذ ذلك الحين حتى اليوم ، ما يزال صاحب النياقة الكردينال تبوني  
يوالي رحلاته الى رومية العظمى كلما دعاه الى ذلك داع ، فيقابل حينما يحل  
في كل رحلة من رحلاته بأعظم مظاهر الحفاوة والاجلال ورعاية الجانب ،  
ويصغى الى ما يبديه من رأي ومشورة .

وقد اسندت اليه بعد ذلك مهام اخرى ذات خطورة ، ولاسيما حين  
انعقاد المجمع المسكوني الحالي ، بما جاء دليلاً على ان الدوائر الفاتيكانية  
تقدر فضيلته وعلمه وسمو مداركه وما يزدان به من نباهة وحكمة .

وزبدة القول ، ان صاحب النياقة ما يزال منذ رقي الى منصبه السامي  
يعرب عن اخلص عواطف التعلق بالبابا والاخلاص للسدة الرسولية ،  
ويؤدي اجل الخدم للكنيسة ، محيطاً طائفته السريانية برعاية ابوية ، مفصلاً  
في مختلف الظروف عن حبه المكين للبنان ، ومساندته لاولياء امره في  
كل ما يراهم يسعون اليه من توطيد استقلاله وتدعيم وحدته الوطنية وانشاء  
الامن والاستقرار في ربوعه .

اخذ الله بيده وامن بجمياته !

## اسطورة عليون

### وزوجه

### واولاده

تعاقب على هذه البشرية عصور وعصور ، ومرّت بأدوار متفاوتة من التفكير ، سداها الوهم ولحمتها الخوف . ومضت في ذهول الزمن تبني من الوهم حقيقة تفسر به الكون ، وما يكتنفه من اسرار ويطويه من اخبار ، و « الفلك يخبر بعمل يديه » ، فما قدرت ان تتبين بما حاولت حله قبساً يوصلها الى شيء من الحقيقة .

رأت ما يبعث على الدهشة ويلقي الرهبة في القلوب ، فامتدت بخيالها تستوحي عالم الغيب ، فما امدتها العقل بغير الاساطير التي كانت مبدأ ما تعاقب على العالم الوثني من مذاهب وعقائد ، فكانت الضحايا البشرية التي ما زالت دماؤها المسفوحة على الانصاب جهلاً ، تنادي الرحمة ، الرحمة ، فكان اله الرحمة الذي منع الذبائح وكان هو نفسه ذبيحة ابدية تفتدي بها الذبائح كلها ، فلا دم يسفح من بعده تقريباً من اله او استعطافاً لولي . وكانت العبادات القديمة ممثلة بالانثى معمل الحياة ، فكان لها الشأن الاول ، على ما جاء في بطون الاسفار التاريخية ، وانبثت آثار الهياكل من ذلك ما قصّته علينا :

ان « ابون » كبير الالهة قد خلف « عليون » في مدينة « جبل » - جليل اليوم - وازوجه بالالهة « بيريت » (بيروت) المتولدة من زبد البحر غضة بضة ، فاستولدها ولدين هما « السماء » و « الارض » ؛ وكان « السماء » ذكراً على جانب عظيم من الجمال والبهاء ، قد حكي النور اشراقاً وروعة الفلك بهاءً ، فسمي الفلك باسمه « سماء » .

وكانت « الارض » انثى اشبهت زهرة ندية طيبة النشر فواحة العطر ،  
فدعيت الارض باسمها .

وكان « عليون » رجل حرب قد شتتها على الوحوش الضارية ، فقطع  
دابرها ولم يبق على وحش كاسر إلا ما هرب من وجهه واختفى في  
جوف المغاور ومحاجىء الصخور ، وبعد هلاكه شيد له من جاء من  
عقبه الهياكل واقاموا المذابح ، يضحون عليها ما وصلت اليه ايديهم من  
أوابد البرّ وجوارح الهواء .

وخلفه ابنه « السماء » واقتون باخته « الارض » ، فولدت له اربعة  
اولاد ، هم :

١ - ايل

٢ - اوكرون

٣ - بيت ايل

٤ - داجون

وداجون هو معبود الفلسطينيين ، وهو سيتون الذي قال عنه « سنكن يتن »  
الفيلسوف البيروتي القديم ، انه اول من عرف القمح واتقن زراعته ،  
واول من اخترع سكة الحرثة .

وتزوج « السماء » بنساء كثيرات استولدهن اولاداً كثيراً ، فغارت  
« الارض » زوجته ، وحنقت عليه ، وما زالت تداوره وتغالبه حتى  
تمكنت من هجره ، فانتحت مكاناً قصباً ، إلا انها لم تقدر على الاحتجاب ،  
فكان يزورها بسلاحه بين الفينة والفينة ثم يتحول عنها .

وذات صباح عرفت « الارض » ان زوجها « السماء » يسعى بكل  
مالديه من قوة الى قتل بنيتها ، فجمعت مالديها من جندي وبدأت تردّ  
هجماته صبراً وعناداً ، الى ان كبر « ايل » ، فسلمته قوساً ونشاباً واوغرت  
صدره لينتقم لها من ابيه « السماء » ، الذي حملها شروراً ومصائب ؛ فاستوزر  
« حرمش بن بيصور » ، وهو الذي اخترع الكتابة ووضع صور الحروف ،

ورتب عبادة الآلهة ، وشرح رموز كتاب « شمريم بعل » ، والقى في قلب « ايل » شوقاً الى محاربة ابيه اكراماً لأمه « الارض » . فشبت نيران الحرب بين الارض والسماء ، وبعد معارك طاحنة تمكن « ايل » من طرد ابيه ، وفي آخر موقعة قبض « ايل » على إحدى زوجات ابيه ، فازوجها « بداجون » ، وكانت حاملاً من زوجها « السماء » ، فوضعت ولداً دعتة « دامور » .

وتذكراً لذلك الانتصار بنى « ايل » اسوار مدينة « جبل » وعزز قصره بالجند والحراس . وشعر ذات يوم ان اباه « السماء » يجدُّ عليه موجدة عظمى ، ويرقب الزمن لينقم منه ومن امه الارض . فرغب « ايل » الى « حرمش » ان يستعمل سحره ويلقي بابيه « السماء » في حفرة عميقة مع ازواجه وبنيه . وسمَّ « السماء » من منفاه ، فوجه بناته العذارى « عشتوت » واختيها « ريّة » او « سميرام » « ودايّة » او « بعلي » ليجتلن على « ايل » ويسترجعن منه المملكة . الا ان « ايل » استمالهن اليه بلطفه وانسه ورقته فتزوج منهن جميعاً . واتصل الخبر بابيه « السماء » فارسل اليه « القدر » و « الساعة » وغيرهما ، فلافهن « ايل » وكان بارعاً باستمالة الاناث ، فرغبهن بالاقامة في مملكته واطلق ايديهن يتصرفن بالناس كما يرغبن . وبعد مضي اثنتين وثلاثين سنة من تملكه ، احتال على ابيه « السماء » فقطع اطرافه ، فسالت دماه في الينابيع والانهار . وكان « دامور » قد وعد اباه « السماء » بالنجدة فجاهر البحر بالحرب ، فطغى عليه البحر وكاد يغرقه ، ففر « دامور » هارباً ، وتوقفت رحى الحرب بين « ايل » و « السماء » .

وكان « لايل » ولد اسمه « شديد » حدثه نفسه بقتل ابيه بجوارزة اخته ، فعرف « ايل » بالامر فذبحه واخته ولطّخ يديه بدم ولديه ، فخافته الآلهة وامتلأت منه رعباً .

واخبر « سنكن يتن » ان ايل بعد تركه الارض قد اتخذ « زحل » مسكناً له ؛ وقد خلف على الارض ولداً استولده جنية مائة تدعى « عين عبريت » ، ودعاها « مجيد » ، ولما رأى ان الحرب قد قربت منه ،

فدفعاً لنارها الآكلة ، البس ابنه حلّة الملك وذبحه على مذبح عالٍ ،  
فاسترضى بذلك اله الحرب فانكفاً عنه .

واولاد « ايل » على الارض هم :

« عنت » ماتت عذراء فبكتها العذارى ، وما زلن يندبن بكارتها في  
كل مطلع صيف .

« تنيت » علمت اباهما بمساعدة « حرمش » صناعة الرماح والمناجل .  
وولد له من « عشتوت » سبع بنات وهنّ « الطيطيات » اللواتي ولد من  
احدهنّ « صديق » و « الشوق » و « العشق » . وولد له من « رية »  
سبعة ذكور كرّس آخرهم للآلهة ، وهم : « ايل » المسمى باسم ابيه ،  
وبعل وايتون والبحر والزوبعة . وولد له من ديانا إلهة الصيد بنات  
كثيرات جداً عرفتهن الحقول بغايا .

وقيل : ان ايل طاف بمالك الارض كلها ووزع ذويه عليها ، ولم  
ينازعه احد الملك ، فهذب الارض ودبرها بحكمة ، وبني مدينة « نصيين »  
ومدينة « كرونية » ، وضم الى مملكته جزيرة قبرص ورودس واكريت .  
وهزم الجبار « اجيج » في طرطوس ، وذهب الى اسبانيا ومنها الى صقلية ،  
وما زال مبحراً حتى وصل الاوقيانوس الاتلنتيكي .

وذكر « سنكن يتن » ان « ايل » قبل مبارحته الارض الى فلك  
زُحل ، ولّى على الجهة التي عاصمتها بيروت « عشتوت » وعلى الجهة التي  
عاصمتها دمشق « هدد » ملك الآلهة . واما مدينة جبيل فوهبها للربة  
« بعلي » و « بيروت » « لبوصيدون » ، و « للكبيرين »<sup>(١)</sup> الذين دفنوا فيها  
عظام البحر ، وسلطنة مصر للاله « حرمش » ، وبملكة اتيكة لابنته  
« تنيت » . واجتاح وباء مهلك مملكته ، فقدم ابنه الوحيد ذبيحة لايه

(١) اول « الكبيرين » بوصيدون ويعد الفينيقيون منهم سبعة والسبعة عدد مقدس  
عندهم وثامنهم « اشون » وهو لا يحل بعدد السبعة لانه من ضمنهم ومكملهم . وذكر  
هيرودتس انهم كانوا يصورون « الكبيرين » على زوارقهم نظير آلهتهم .

« السماء » ، ثم اختتن وأمر اصحابه ان يحتتنوا ، فصار ذلك سنة مأثورة في كل فينيقية .

وزعم « نون » ان سكان « صور » و « ايون » هم من النسل المقدس المولود من ارض صور الطاهرة ، وقد ابدع تراها من غير زرع ولا غرس ، صورهم وجمالهم فقال :

تحت سكائب دم النسر القدري ،  
 ظهرت التلال الغير الثابتة على وجه العمر ،  
 وتراءت امام صور كأنها عروس البحر ،  
 وقد انبتق جمالها من الفجر ،  
 ومشى الاحمرار في خديها من خمرة العنب البكر ،  
 وعلى الصخور الثابتة ، بنى ابناء الارض مدينة  
 صور المنبعا ، ام المدن الفينيقية ،  
 القوية بشبانها ، والجميلة بعذارها الرائعات  
 المنبعثات من جبين « عشتروت » ربة الجمال ،  
 إلهة العشق وحامية المغرمين .



مراجعة كتاب



اصول

الثقافة البشرية

عرض وتقديم

عبد اللطيف شراره

تأليف : جولوس اي . ليس

الكتاب الذي اخترته موضوعاً لهذا الحديث يتعد بنا عن الحياة الراهنة في الاجتماع والاقتصاد والثقافة والسياسة . ولكنه لا يتعد بنا عنها ، الا ليردنا اليها من جديد ، بعد ان يجوب آفاق التاريخ ويتحرى لنا خفاياه ، وينزل بنا الى اعماقه ، حيث نشاهد اصول الواقع الذي نعيش اليوم في جوهه ، وندرك الينابيع التي نستقي منها اليوم افكارنا وعاداتنا وتقاليدنا ووسائل الرفاهية التي نتمتع بها . ثم نخلص من هذه الرحلة الممتعة الى نتيجتين خطيرتين : اولهما وحدة العقل البشري ، بمعنى ان جميع العناصر البشرية من شتى الالوان والاجناس والبلدان اسهمت ، على مدى القرون ، في قيام الحضارة الانسانية الراهنة ، ولم يتخلف احد منها عن الآخر . فالامم بهذا المعنى متساوية ، لا فرق بين اسودها وابيضها ، ولا بين اوريبيها وافريقيها ، ولا بين آسيويها وامريكيها . والنتيجة الثانية التي ينهيا اليها هذا الكتاب هي ان مكاسب الحضارة الحديثة في مختلف حقول العلم والفن والصناعة والزراعة ، لا تفضل ابدأً مكاسب الاقدمين في هذه الحقول . فالاقدمون

وضعوا الأسس التي بنى عليها المتأخرون ، وكان لهم شرف السبق في النضال الذي قاموا به ، والمشقات التي كابدوها للانتصار على قوى الطبيعة والسير بالانسان نحو الفضيلة والمعرفة .

ليس ثمة اذن ، ما يبرر تلك النظريات والمذاهب الضيقة التي تحصر « المدنية » في امة او بلد ، وتسلب الفضل ذويه ليستأثر به عرق ، او يحتكره مجتمع ، او يقتصر على قوم . ثم لا مبرر لكل عقيدة تحسب انها الصيغة النهائية في فهم حقائق التاريخ ، وكشف قوانين الاجتماع ، ما دامت تنكر لكل ما عداها من عقائد ، وتحسب انها هي الاصح والارقي والاغنى ، فالزمن ما زال يسير ، والانسانية ما زالت تتقدم مع الزمن . ولا سبيل الى اكراه الزمن على التوقف ، ولا الى حمل الانسانية على الجمود .

ذلك هو بالضبط ما قصد اليه بوليوس ليبس من تأليف هذا الكتاب الذي أحدث اليكم عنه . والمؤلف - ايها السيدات والسادة - علم من اعلام الفكر الالماني الحديث ، ولد في السار ، وكان يشغل كرسي الاثنولوجيا ( علم اعراق البشر ) في جامعة كولونيا ، يوم تولى هتلر مقاليد الحكم ، وادارة المتحف الاثنولوجي في الوقت ذاته . وفي عام ١٩٣٤ وقف بوجه النظرية العنصرية التي اعتمدها النازيون قاعدة سياستهم ومحور نشاطهم ، فكان ليبس الجامعي الآري الوحيد من اساتذة الرايخ الثالث الذي رفض فكرة العنصرية ، واضطر بالتالي ، الى التخلي عن مناصبه وهجر المانيا نهائياً . وحين قدم الى باريس زاول التعليم ، بعض الوقت ، في السوربون ، ثم انتقل الى الولايات المتحدة ، حيث راح يعلم في جامعة هاوارد ، ثم في الاكاديمية الزنجية الاميركية . وهناك مات قبل ١٩٥٠ بقليل .

يتحدث المؤلف ، اول ما يتحدث ، عن المساكن والمواقع وارانها المنازل ، فيلاحظ ، خلافاً لما هو شائع ومعروف ، ان الانسان القديم لم يكن يسكن المغاور والكهوف ، وانما عمد

من بداية الامر الى بناء البيوت ، ورعاية الحياة العائلية والاستمتاع بأطبائها ، والارتياح الى اجوائها الجميمة الناعمة . وعنه اخذ المحدثون افكارهم كلها في البيت وزخرفته ، والعناية به ، واعتباره ملاذ الرجل من عوادي الطبيعة والناس ، ومسرح نشاط المرأة ، وعبارة عبقريتها .

اما المغاور ، فقد كان يفيد منها في اقامة حفلاته الدينية واجتماعاته العامة التي لا يتسع لها بيت الاسرة ، وما كانت يوماً من الايام مسكناً له او منزلاً . غير ان الحيمة ، وهي الاختراع البدائي ، لا تزال افضل ما اهتدى اليه العقل البشري في ابواء المسافرين والرحل من الناس . وهي الاختراع الذي استثمره الجنود والكشافة اخيراً . وليست اواني المنزل ، من الطناجر ، الى الصحاف ، الى الصحون ، الى الاباريق ، الى القناديل ، الى الذبالات ، بما تقل في اهميتها ، عن اي اختراع من الاختراعات الحديثة ، بالنسبة الى الزمن الذي نشأت فيه . وحكاية النار التي اهتدى اليها كل شعب ، على اشكال مختلفة ، من ارووع ما كشف الانسان في بواكير وجوده على هذه الارض .

بيد ان وحدة العقل البشري لا تبرز في المساكن والحيام والمواعد والاواني المنزلية او اكتشاف النار ، بمقدار ما تبرز في ظاهرة شاملة ، انتظمت جميع البيئات القديمة ، رغم انقطاع الصلات بينها ، الا وهي الزينة وادواتها التي تكشف عن تعلق الشعوب البدائية الاولى بالجمال ، وسعيها الى التجلي به وصونه من عوادي الايام ، وان اختلفت الاذواق في شأنه ، وتعددت مقاييسه بين شعب وشعب ، وحتى بين بلد وبلد . وقد توصل الاقدمون في هذه الحقول ، حقول الزينة وما يواكبها من حلي كالعقود والاقراط والحلاخل والدمالج والاساور والخواتم ، ثم من اصباغ ووشم وتلاعب بالالوان ، ثم من طرائق في تطويل الشعر وتقصيره ، وعقسه وتجمعيده ، وتبسيطه ، ثم من ازياء لا حصر لها في اللحى والشوارب ، ثم من استخدام الطيوب والعطور والافتنان في تحضيرها

وتنوعها . - توصلوا في ذلك كله ، الى بدائع وروائع وافانين ، لا تزال تقصر عنها ارقى مصانع الجمال في ارقى عواصم العالم الحديث ، ولا تدري كيف تلحق بها في هذا المضار ، وهناك اليوم عقود بابلية ومصرية ، ويحتفظ بها المتحف البريطاني في لندن ، يرقى بها العهد الى ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد ، تثير دهشة كل من يراها .

ثم ينتقل بنا المؤلف من الزينة وادواتها ووسائلها القديمة ، الى اول عقل آلي اخترعه الانسان القديم للتسلط على الوحوش والحيوانات ، وهو يعني به الشباك والافخاخ والسهام والروافع المختلفة وما اليها من آلات تتنوع بتنوع البيئات ، ويدرس كل آلة على حدة ، موضحاً ما تنطوي عليه من اسرار علمية اهتدى اليها البدائيون وافادوا منها ، وكانت اساساً للمخترعات الضخمة التي ينعم بها المحدثون في ميادين الصيد والقتال ورفع الاثقال .

اما شأن الانسان مع الارض ، فانه لم يختلف قط عما كان عليه قبل آلاف السنين ، فهو ما زال يتناول غذاءه على الاسس نفسها ، وهي : الحُبز ، واللحم ، والسمك ، والبقول ، والفواكه ، لم يغير منها شيئاً منذ كانت الخليقة الى يومها هذا . ونحن لم نتمكن بعد ، حتى في عصرنا الذري - كما يقرر ليس - من ايجاد الرحيق الجديد الذي نستغني به عن الاطعمة ، ولا من ايجاد الجيوب الفلسفية التي تتيح لنا التخلص من الاطعمة التقليدية . والفارق الوحيد الذي يميز الحاضر من الماضي ان ابعاد العالم الارضي ضاقت عن ذي قبل ، ولم يبق بعد اليوم سوى عالم واحد . واذا كنا قد وفقنا الى استخراج كميات كبيرة من الارض تتناسب مع تزايد السكان ، فان المحصولات الغذائية لا تزال قائمة على قاعدة من العمليات الموروثة التي كان يمارسها اجدادنا الاقدمون ، فنحن اليوم مثلهم ، نقف بما تقدمه لنا مملكتنا النبات والحيوان .

وعندما يفرغ المؤلف من تتبع اصول الزراعة ، حيث يؤكد تلاقى الشعوب كلها وتعاونها ، يأخذ في درس الحرف على انواعها ، فيرى ان المثل القائل - الحاجة ام الاختراع - يجد انطباقه الامثل في تاريخ الصناعة . وانه كان يهيمن عليها منذ ابعاد ابعاد الماضي ، حتى احدث وادق معطيات التقنية الحديثة . وقد كان لضرورات المناخ ، والاستعدادات وهجرة الشعوب والافكار ، اثرها العميق في نشر المعرفة التقنية ، بحيث لا يصح لأمة ان تنبأى بما لديها من تكنيك على امة اخرى !

يقول يوليوس ليبس : - ان لمنجزات حضارتنا الحديثة جذورها ، على نحو او آخر ، في الاختراعات القديمة التي تمت بنسبها رأساً الى فجر التاريخ ، في سلسلة مترابطة الحلقات ، لا يفككها شيء . وكثيرة هي الادوات التي استخدمها البدائيون منذ قرون ، قبل ان يتعلم الرجل الابيض استخدامها على ايديهم .

اما الشؤون الحيوية الاخرى ، من المواصلات ، الى الملاحظة ، الى التجارة ، الى نشر المعلومات والصحف ، الى التربية والتعليم ، الى التمثيل ، الى اللهو ، الى الآداب والفنون ، الى الاستمتاع بالحياة ونشدان الحرية والسعي وراء السعادة ، الى طرائق الحكم وانظمة الاجتماع ، فهذه جميعها من مبتكراته ، ناهيك عن معتقداته الدينية التي اخذها برمتها عن غير الابيض .

ويخلص المؤلف في ختام كتابه ، الى توجيه القارىء نحو فكرة على جانب عظيم من الاهمية ، هي ان لكل شيء تاريخاً ولكل عمل يقوم به الانسان الحديث مصدراً سواء كان خاصاً او عاماً ، فاذا بحث عن المصادر والاصول تكشفت له هذه الحقيقة النهائية ، وهي اشتراك جميع الامم في التراث الثقافي الانساني ، وادرك من تلقاء ذاته انه لا فضل فيه لابيض على اسود ، ولا لاسمر على اصفر ، ولا لأوروبي على آسيوي ، ولا لأميركي على افريقي .

بمناسبة المؤتمر العالمي للطفل

## من وصي الطفولة! ...

ايتها الطفولة البريئة ، أمام ذكرياتك نقف حيارى نتأسف على أيام  
مرت ، دون أن نجني من ورودها شهد الثمار وطيب الحياة  
ونعيم الغد !

ايتها الطفولة ، في باطنك قطعة من السماء ! ...  
انت حفنة من الجنة ، انت الأمل والمنى ، في قلبك عصارة الحياة  
وفي مقلتيك دموع الأمانى !

ايتها الطفولة ، كم قالوا فيك وتحدثوا عنك يا كل العذوبة والسحر  
والسناء ، جمالك من ذهب الشمس ووهج القمر ، جمالك  
يخرس الجداول ويصرع الحسون ! ...

فيك خبئت الوعود والشوك والورود ،  
يا طهر الزنبق الأضوع ، كم نفخت في البسات حياة وفي الذكريات  
حلاوة ، فاذا العمر دغدغة الفؤاد ! ...

انتفسك أريجاً عبقاً يفعم دنياي بأطيب الآمال ،

أراك في كل زهرة تفوح وفي كل نجم يلوح ،

انت رجة ذكري عابرة ونأمة خاطر شارد ،

انت اتكأ المواسم على صدور الجداول ،

انت النعمة المروية المشبعة ،

انت طيف من الابدع وموعد للغد وفكرة غابرة ،

انت أيام عذبة طوتها السنون وذبل صباحها يتناثر على الدروب ،  
انت ربيع وزهر ، شعلة رجاء واختلاج أمنية ،  
انت حلاوة تفيض بالاماني وحديقة ملؤها العطور .  
حبّات القلوب فداك يا ربيعاً نام السرور على جفونه ورقص  
الزهر حول أمانيه ،

في جوك المشبع بشذا الحياة رف الخيال ومرت الايام أيام سنيّة  
اتنى رجوعها لحظة ويأسف لانقضائها قلبي !  
ايتها الطفولة ، ان حياتنا ملأى بألف غصة وبألف دمعة وصدمة ، ...  
أناجيك والامل باسم والنشوة غامرة والحياة ضياء ،  
أناجيك وعلى شفتي بسمه وفي قلبي أغنية وهمسة ،  
الا ضمخي بعبيرك العابتق هذا الكون وارسلي في الآفاق أهازيج  
فجر جديد ،

في عروقي ، في دمي تسيرين يارسة عطر سني !  
تمر الايام أيتها الطفولة فتجعل الذكرى أوسع واعتمق وأعذب .  
ألا رددي نغماً على شفتيك ودعينا نقطف الورود فربيعنا لن  
يعود ! ...

أيتها الطفولة ، المملك ذرة ذرة هناك تحت السنديانة الجبارة ، على  
الربوة الحاملة اطليل الوقوف مشوقة حيرى ، ابحت عما طويته  
في حنايا الدروب وعلى منعطفات الاودية ! ...

بين اليقظة والكرى انخيلك فراشة افلنت من حقل فلّ في ضحي الربيع ،  
في حمرة الورود اراك تتهاوين يا نفحة حب معطاء ،  
يا لحناً في خاطر العندليب ،  
يا طيفاً مررور الندى العابر ،  
يا حلماً في قلب شاعر وريشة في يد فنان ،  
يا برعمة طريئة العود ،  
يا نشيداً على وتر العذوبة ونغمياً في قيثارة العفاف ،

يا نضارة وعطراً في المرجة الوداعة الخضراء ،  
اراك حيث الفجر يضاجع النور ، والبلبل يبرغ جناحه على الحضرة ،  
والنسمة المغنّاج تهيم ساجدة  
اراك في غمرة من فوح العبير وحلو النغم ، واطوي شوقي  
والذكرى طي الاضلع  
ذكرك في خاطري فاح منه الطيب أنقى من الكوثر !  
أذكرك وأذكرك وفي عيني ذهول وعلى شفتي حيرة ،  
أتملك كل صباح ، أتملّ فيك طمأنينة الحياة والخلود والدة ،  
جانب العين وقرب المنحدر أتملك ، وظلال المساء تلفك ورهبة  
الليل تشيّع فيك الأمل ! ...  
ايتها الطفولة ، في عيون البلبل ناشدتك ، بإجمالاً لا يخبو نوره ،  
ماذا أقول فيك أيضاً وقد اطلت القول وتججرت في عيني دمة  
عليك يا من ضارعت الورد والفل بشذاك ! ...  
عند العشيات موعد السحر ذكرتك ، وهامت روحي على جناح  
الذكرى كريشة هائمة في مهب ريح عتية ! ...  
ايتها الطفولة ، اسودّت الآفاق في العيون من دخان المطامع  
والشهوات وتسمم الهواء بالكذب والرياء !  
ونفسي مثقلة بالاوزار وقلبي غشاه الضباب وروحي حطمتها العاصفة ! ...  
سلام عليك يا من ذهبت واكليل الاحلام غطت راسك .  
سلام عليك يا عنفوان الحياة ،  
سلام من ذرى صنين ، من نبعه القياض .  
سلام من الحسون والشجور ، من نجمة الصبح ، من هدوء الليل ،  
سلام عليك اعذب من انفاس السحر واجى من احلام الطفالى  
واصفى من عقود الدرر ! ...

الاخت ليوني نكد

الراعبة الباسيلية الشويرية

## عاصمة لبنان القديم تستيقظ



بقلم

جوزف نعمه

# آثار

## دير

### القمر

ننشده من وراء هذا الحديث عن آثار  
دير القمر ، التي لها صلة وثقى بالتاريخ  
اللبناني في العهدين المعني والشهابي .  
فآثار دير القمر عشر وهي :  
جامع الامير فخر الدين الاول -  
سراي الامير فخر الدين الثاني -  
قيصرية هذا الامير - سراي الامير  
ملحم - سراي الامير احمد - سراي  
الامير يوسف - سراي الامير محمود -  
دار موسى شوعا - (نقولا الترك) -  
دار بطرس كرامة - مقبرة القبة .

جميل ان يكون المرء ملماً  
بتاريخ بلاده ، عارفاً بعادياتها ،  
وآثارها وما تركه الاقدمون من  
قصور وبنيات وحصون وقلاع  
تنطق بماجريات الايام الغابرة ؛ واجمل  
من ذلك ايضاً ان يكون فاهماً  
تاريخ هذه المتروكات الاثرية ، واقفاً  
على الدوافع التي اوجبت انشاءها ،  
والحوادث التي جرت فيها ، لان  
في هذا الاطلاع ما يزيد العقل  
تنويراً ومعرفة . وهذا غاية ما

## جامع الامير فخر الدين الاول

خمسون ، نقش على واجهته الغربية  
اسم بانيه وتاريخ انشاءه والآية :  
« في بيوت اذن الله ان ترفع  
ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها  
بالغدو والاصال ، رجال لا تلهيهم

بناه الامير فخر الدين الاول  
ابن عثمان المعني سنة ٨٩٩ هجرية  
( ١٤٩٣ ) ، ولهذا المسجد مأذنة  
مسدسة الزوايا هي آية الفن الهندسي ،  
يرقى اليها بسلم حجري درجاته

وقد احدثت الزلازل بعض الانحراف في المأذنة كما ظهر على حجارتها آثار الرصاص ، ويقول الاقدمون ان ذلك حاصل من جراء اشتباك مسلح قوي وقع بين اهالي الدير ورجال الارناؤوط الذين احتموا في المسجد .

وكنت الاحظ مرة بعد اخرى ان ارض المسجد مخددة وفيها بعض الحفر ، وقد علمت ان بعض الغرباء الذين كانوا يلوذون بكنف المسجد ليلاً ، كانوا يقبلون الارض بحملاً عن كنز يعتقدون انه مخبوء في هذا المكان . ومصدر هذا الاعتقاد ضعف عقلية الشرقيين بوجه عام ، فجميع الابنية القديمة تخفي حسب زعمهم ، كنوزاً تقدر بمبالغ ضخمة .

تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة ، يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار ، ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب . » ( سورة النور ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ )

ونقش على قاعدة المأذنة للجهة الجنوبية ما يلي : « عمر هذا المكان المبارك ابتغاء لوجه الله العظيم ورجا لثوابه الكريم الراجي عفو ربه القدير ، المقر الفخري ، الامير فخر الدين ابن عثمان ابن الحاج يونس المعني ، غفر له ولوالديه ، سنة ثمانماية وتسعين هجرية ، على صاحبها افضل الصلاة والسلام . »

### سراي الامير فخر الدين الثاني

الامير ملحم ، مزخرفة بالحجارة المنحوتة المتقنة بلونها الاحمر الضارب الى الصفرة ، وهي اليوم في حوزة آل باز . ومن مشاريع الحكومة المقبلة اقامة تمثال للامير فخر الدين الكبير امام هذا البناء .

ان الآثار المعنية الباقية ، اذا استثنينا الجامع منها ، تعزى الى الامير فخر الدين الثاني الكبير . فهو الذي بنى السراي التي فوق سوق الميدان والمعدودة من اقدم سرايات لبنان وسوريا ، تتقدمها بوابة بيضوية الشكل مقابلة لقصر

## قيسارية ( او قيصرية ) الامير فخر الدين الثاني

وعلوه الحالي ٢٠ ذراعاً . وقد سمي بالخرج بعد بنائه باكثر من مئتي سنة عندما استعمل محلاً لتوزيع ( الخرج ) على العساكر المصرية في اثناء الفتح المصري ، او لان الامير بشيراً الثالث كان يوزع على سطوحه على الناس خرجاً ، والخرج في الاصل خراج واريد به حصته من الطحين ، فلقبت السطوح به واكسبت الامير كنيته ( ابا طحين ) . وقد صدعت الهزاهز هذا البناء ، فعمدت دائرة الآثار اللبنانية مؤخراً الى تسنيده وتدعيمه وجعله صالحاً للايواء ، فعمى ان تكمل مهمتها الانشائية المحمودة .

بناها الامير لتكون سوقاً للحريير والحياكة على النول . وهي بناية ذات شكل مربع تكتنفها الحوائيت من كل جانب ، واسمها كان مشهوراً في اسواق الحرير الاوروبية والشرقية ، وقد تأثرت جدرانها بالحريق الذي حصل في حوادث سنة ١٨٤١ وما بعدها .

يلها بناية الخرج وهي قسم من القيسارية ، شيدها الامير فخر الدين الثاني سنة ١٦١٦ لاستيعاب البضائع والمؤن والاسلحة ؛ سماكة البنيان نحو من ٣ اذرع ، وطوله مئتي ذراع ، وعرضه ١٥٠ ذراعاً ،

## سراي الامير ملحم

سقف البناية وما عليه من الانشآت . وقد اقام الامير بشير ردهماً من الوقت في هذا المكان ، ولما نقل مركزه الى بيت الدين اقام عموداً مثله في ردهة مجلسه في قصره الجديد ودعاها من اجله بقاعة العمود . والطابق العلوي من قصر الامير ملحم تهدم ما بقي منه قبل الحرب

شيد الامير ملحم ابن الامير حيدر حاكم لبنان سراياه قرب انطوش سيده التلة . وهو بناء كان من طابقين ، العلوي منها كان مسكن الامير واسرته ، والسفلي ديوان الحكم ويعرف ( بقاعة العمود ) لوجود ركيزة ضخمة من الحجر الموقع المستدير في منتصفه ، يحمل

وهذا القصر تلاصقه بناية اخرى من الجهة السفلى ، جعلت مؤخرأ مركزاً لمحفر الدرك ، وكانت سابقاً قسماً من قصر الامير ملحم . ولكن لما قسم لبنان قائم مقاميتين سنة ١٨٤٢ ، انفصلت دير القمر عنهما لاعتبارات مذهبية ، وجعلت مركزاً مستقلاً عليها حاكم تركي يعرف بالمتسلم ، مرجعه والي صيدا رأساً ، فاتخذها مسكناً له . وآخر متسلم على الدير اشتهر بالعمل المعيب الذي قام به في اثناء حوادث سنة الستين المشؤومة ، وسال الدم بغزارة في عقر داره الآنف وصفها .

الكونية الاولى ، وشيد مكانه طابق حديث بالاموال التي جمعها الدير يون في الوطن والمهجر لاقامة نصب تذكاري لشهداءهم ، وقد صدعته الزلازل الاخيرة .

ومن ذكريات هذا المكان انه في سنة ١٨٠٧ ، استقدم اليه الامير بشير الكبير الشيخ جرجس باز مدير ابناء الامير يوسف وقتله غدراً ، وبعد مقتله هاج الدير يون فرمى لهم الحاكم بجنته ناحية كنيسة سيدة التلة ، فتملكهم الخوف واعتقل بعض مشايخه وقتل بعضهم ، وضرب جزية على الاسر التي كانت تسانده .

### سراي الامير احمد

فيها بعد ان فقدت ولديها الصغيرين ، والتمست من الحاكم الامير ملحم ان يبني لها داراً جديدة فأبى ، فذهبت الى بعقلين وجمعت بعض اهالي البلاد ضده واقسمت بان لا ترجع الى دير القمر قبل ان تبني لها بناية جديدة ، ونزولاً عند ارادتها انشئت هذه الدار بعناية الامير احمد ، وذلك سنة ١٧٥٥ ، كما يستدل من بلاطة فوق الباب الشمالي

قصر الامير احمد الشهابي يعرف اليوم بقصر ابي عساف جرجس باز ، وقد انشئ بعناية الاميرة ام دبوس واسمها الست خنساء ابنة الاميرة فارس ابي اللمع ، وقد دعيت بهذا الاسم لانها كانت تتقلد دبوساً ركبت له جوهرة كبيرة . وذلك ان زوجها الامير احمد كان ساكناً في السراي القديمة تجاه نبع الشالوط في دير القمر ، فكرهت الست خنساء الاقامة

الثاني المنقوش عليه هذه العبارة :  
 ( الله كافي من توكل عليه كفاه )  
 سنة ١١٦٩ هجرية ) . وقد عرفت  
 هذه الدار باسم الاميرة « ام دبوس »  
 ثم بعدئذ بقصر ابي عساف جرجس باز  
 الذي اشتراه سنة ١٨٠٠ من الورثة .  
 وفي هذا القصر نزل ابراهيم باشا  
 المصري . وسكنه ايضاً الامير عباس  
 اسعد الذي تولى الحكم سنة ١٨٠١  
 فترة من الزمن مكان الامير بشير ،  
 وقد صدره الامير بشير بعد مقتل  
 صاحبه جرجس باز ، ولكن الست  
 لولو زوجة الشهيد اقامت الدعوى في  
 الاستانة فاستردت قصر زوجها المغدور .

### سراي الامير محمود

اقيم هذا البناء شمالي الجامع  
 على ظهر بناية معنية ذات بوابة  
 اثرية جميلة تؤدي الى اقبية عميقة  
 انشئ فيها قبر على الطراز الاسلامي .  
 وكانت هذه الدار سبباً لخلاف بين  
 الامراء الشهابيين ، قتل على اثره  
 الامير فندي من يد اخيه الامير  
 يوسف حاكم البلاد . كان يملك هذه  
 الدار المرحوم انطون عيد البستاني ،  
 وهي اليوم ملك حفيده جورج مخايل  
 عيد البستاني ، وكانت سابقاً مركزاً  
 لمدرسة سيدة التلة التي تلقينا فيها  
 دروسنا الاولى ، على عهد المدير  
 افرام حنين الديراني ، وهي اليوم  
 مقر لنادي الشبيبة الديرية .

### سراي الامير يوسف

هي سراي الحكومة وبإدارة دائرة  
 الآثار . شيدها الامير يوسف ابن  
 الامير ملحم حاكم لبنان منذ سنة  
 ١٧٧٠ ، على عمارة قديمة للمعنيين .  
 وفيها جرت حوادث دامية ، منها  
 ان صاحبها الامير يوسف قتل بعض  
 اقاربه الاذنين ، كما ان الامير بشير  
 الكبير اغتال في قاعتها بعض المشايخ  
 النكديين ، ورمى برؤوسهم في سوق  
 الدير زيادة في الارهاب . وفي باحتها  
 جرت مذبة معروفة في التاريخ .

## دار موسى شوعا

الدار المربعة الشكل الى يد المرحوم شبلي سعد ، ومن ورثته الى الاستاذ فؤاد افرام البستاني رئيس الجامعة اللبنانية الذي عني بترميمها بمساعدة دائرة الآثار .

انشأها وجيه ومثري يهودي اسمه موسى شوعا ، قرب كنيس اليهود الملاصق لدير الراهبات ، وامتلكها بعدئذ نقولا الترك شاعر الامير بشير ، الذي ساهم في اعدادها وبنائها على اسس جديدة . وقد انتقلت هذه

## دار بطرس كرامه

الرحمات المطران باسيلوس حجار مطران صيدا ودير القمر للروم الكاثوليك ، الذي رهبها وزاد عليها بعض الاقسام ، وهي الآن مقر للمدرسة الرسمية .

كانت مقراً للمرحوم بطرس كرامه شاعر الامير بشير الكبير ، ثم تديرها المرسل الاميركي المستر « برد » ، وكان فيها في اثناء حوادث سنة الستين المشؤومة ، وامتلكها المثلث

## مقبرة القبة

احدى نوافذه يرى فيه قبرين من المرمر الابيض المائل الى السمرة على طراز اسلامي يعلو الواحد منهما متراً ونصف المتر تقريباً . ومن مراجعة التاريخ اتضح لنا انه دفن فيه سنة ١٦٩٧ الامير احمد بن ملحم بن يونس اخي الامير فخر الدين المعني الكبير . وفي هذه

تعرف بقبة الشربين او قبة المشائيق ، مركزها في شمالي شرقي دير القمر في الحارة التي تحمل اسمها . وبناء هذه القبة مربع طوله ستة امتار وعرضه ستة وعلوه خمسة امتار ، بناه المعنيون لدفن موتاهم فيه ، وقد طمر بابه بالتراب نتيجة الاهمال . والناظر الى داخله من

القبة ايضاً دفن سنة ١٧٣٣ الى  
 جانبا جده ، الامير حيدر بن  
 موسى الشهابي حاكم لبنان وحفيد  
 الامير احمد المعني لابنته . وفي  
 سنة ١٧٧٠ رقد في القبة عينها  
 الامير احمد الشهابي والد الامير  
 حيدر المؤرخ الشهير ، ثم بعده  
 الامير فندي . وكان الامير يوسف  
 يشنق المجرمين قرب هذا المكان  
 فسمي « قبة المشانق » .

### منطقة دير القمر الاثرية

شرق المدفن المعروف « بقبة  
 المشانق » الخ ...

ومع كل افتخارنا بهذه الآثار  
 العزيزة على قلب كل ديري وكل  
 لبناني نأمل ان لا تصبح دير القمر  
 مكاناً لزيارة الآثار القديمة فقط ،  
 بل سوقاً للبيع والشراء ، والاخذ  
 والعطاء ، كما كانت في العهود الماضية  
 الميمونة ، فسقياً لتلك الايام !

جاء في المرسوم الجمهوري ذي  
 الرقم ٢٨٣٧ الصادر في ١٦ آذار  
 سنة ١٩٤٥ والمتعلق بتحديد منطقة  
 دير القمر الاثرية ما نصه :

تعتبر من المناطق الاثرية المنطقة  
 المحيطة بقصور المعنين والشهابيين  
 في بلدة دير القمر ، وحدودها اولاً  
 من الشرق - خط يتبع قعر وادي  
 مار جريس الواقع على عشرين متراً



## — الرسالة الصغير —

نقولا ابو خليل — القدس

ولا تطفو على القمم  
وفي رؤى ايامنا  
يجلجل العدم

\*\*\*

لا نعرف الندم  
لا نسأل الجراح  
او نسترشد الالم  
ففي دجى ارواحنا  
تجمدت افراحنا  
وصلبت آلامنا  
وللمتها في سرود  
أذرع العدم

\*\*\*

اخواننا الحفاة والجياع والعراة  
اخواننا الذين فتشوا  
جيوب سروال الاسى  
ليفهموا الحياة  
ساروا على كل الدروب

على شجيرات العيون  
عشش السأم  
وفي الحطى على الرصيف  
تسمع السأم

وفي الشفاه الراجفات  
يرقص السأم  
موسمنا سأم  
بيدرنا .. حصادنا ..

غلتنا .. سأم  
يجلجلنا السرور  
ينكرنا الالم  
وفي كوى القلوب  
تنسج العناكب السأم

نطل من نوافذ  
أستارها سأم  
سرورنا فقاءة  
ينفخها الالم  
آلامنا

لا تعرف العمق

وفوق كل موجةٍ  
 قد حطموا صلبانهم  
 ساروا بلا اتجاهٍ  
 ليفهموا الحياة  
 لكنهم عادوا هنا  
 اعينهم غائرةٌ  
 يحضنها الالم  
 قلوبهم مراقص  
 لليأس والعدم

داسوا على ايامهم  
 ومزقوا القلوب  
 وغرسوا اعينهم  
 على الضفاف السود  
 والغابات والغروب  
 ليفهموا اسرارهم  
 ليفهموا الحياة  
 داسوا على اربابهم  
 عاشوا بلا اله  
 وفوق كل ربوةٍ

نرجو اصدقاءنا الادباء والشعراء ، الذين يتلطفون بارسال  
 مقالاتهم وقصائدهم الى مجلة الرسالة ، الا يسهوا بافادتنا عن  
 عناوينهم الكاملة ، لترسل لهم المجلة ، مع جزيل الشكر .

الادارة

## ما اصفر الدنيا

صدري مع الشمس ، فأبيّ الذرى  
مرّ بها صدري ، ولم تكبرِ ؟  
ما لي أنا ؟ والفجر محفورة  
عيناه في حقلي وفي بيدري  
وتخطر الشمس ، ولولا غدي  
لم تطلع الشمس ، ولم تخطر .  
في قريتي يستيقظُ المشتهمي  
على نداء الساعد الاسمر  
على صبايا عثرت دربها  
لكن بغير النجم ، لم تعثر  
كأنما يخطرُن ، من فتنة  
في قمرٍ بكبرٍ ، وفي مرمر  
هنا ، على النبع ، فرشن الضحى  
وقلن للنبع ، ابتهج واسكر ،  
نحن خلقناك ، فيا ماءه  
يا ماء ظلي بعدنا ، واذكري  
ما للنجوم الزهر ، سهرانة  
في قريتي ، في كوخى الأخضر  
انا الذي قلت لأجفانها :  
باسمي ازرعى الضوء ، وباسمي اسهري .  
يقال ، قال الزهر لي مرّة  
لولاك ، لم أورق ، ولم أزهر ، -  
ما اصفر الدنيا ، ففي قريتي  
تلتّم في بيتٍ وفي منظر .

ادونيس

من ديوانه : قصائد اولى

طبعة ثانية

# ذكريات

بقلم

الياس عيد

والنار في موقدنا مشبوبة مصفحة  
أتذكر؟

أتذكر  
بيادر القرية ابان النهار  
وكيف يختال الصبايا بالجرار  
والتينة الخضرا على اغصانها

تزهو الثمار  
يرشقها الاولاد جهراً  
بالهراوي والحجار  
أتذكر؟

أتذكر  
ايام كنا نلتقي عند الغروب  
على طريق العين والدنيا طيوب  
يهزنا في سيرنا نوع من  
الشوق العجيب

انا وانت والهوى يلفنا  
صمت غريب  
أتذكر؟ !

أتذكر  
احيان كنا في الليالي نسهر  
والقمر الباهت فينا ينظر  
وكوخنا التراب كم كنا به ننتظر  
لربما تأتي ويحلو يا حبيبي السمر  
أتذكر .

أتذكر  
ايام كنا نلتقي عند الصباح  
نفترش الاعشاب او نجني الأفاح  
ونصعد الجبال او نطوي الاوادي  
والبطاح

نسابق الانسام والاطيار من غير جناح  
أتذكر؟

أتذكر  
غرفتنا الصغيرة المشلقة  
وكتبنا العتيقة الممزقة  
وقربنا نواصة قديمة معلقة

من ديوانه الذي ظهر حديثاً :  
النعم الحالم

# سراب

أنام ولا اغفو  
وأحجم عن حسنٍ  
ملت وفي ملي  
ومنها تملكني  
تساوت لديّ المنى  
إذا الليل أسكرني  
أفي الحب مظامة

أفيق ولا أصحو  
نضارته قبحُ  
اليها المنى تنجو  
شعور الهوى الجحُ  
وصدكُ والمنحُ  
تقولين ها الصبحُ  
لقلبي أم فتحُ ؟ !

زماني وما زمني  
أحنّ الى عدمٍ  
جراحاً مدى عمري  
يموت على شفتي  
كزهري ذوى ومضى  
علام الحياة اذا

قصير المدى لمحُ  
لعلّي به أمحو  
وعمري هو الجرحُ  
بريق السنا السّمحُ  
وجف به النفخُ  
تعجلها البرحُ !

أما لك يا زمني  
فسيان ان بذلوا  
وسيان ان رشقوا الـ  
فما للهوى شبعُ

لأهل الهوى نصحُ  
وسيان ان شحوا  
ذاذة او ضحوا  
وما للهوى كبسحُ !

## الى فيروز ...

فؤاد الخوري

لا كرتة من بلبل بعدُ تُسَلِّني ، ولا اغنية الجدولِ  
غُنيتِ ... فاشتاقَت سفوحِي الذرى . بالله غنّيتِ بعدُ يا بلبلي  
وضيَّعي دربي شراعاً بِجدّه المدى ، وجانحاً يعتلِي  
يسامر الأُنجم عن موطن ، بنيت من عزّته هيكلي

✱

ما بي ضياع ! وشوشات تناجيني ، وبوح ناعم تخملي  
يا صوتها ، يا موجعاً همسه ، قلبي شموع احرقت انملي .  
قلبي انا ... دنياه ؟ انشودة سكرى بأحلام الهوى الاولِ  
وارزة خضراء ... في موطني ! احمل من افيائها مشعلي  
واعبر الاجيال مستكبراً ، والكون من حولي دجىً ينجلي

✱

هذي اماني . نشيد ابتهالات يجفنِ حالمِ مسبلِ  
غنّيتِ له عن حبّه ، عن رؤى ، اطيافها ، احلام قلبِ خلي .  
غنّيتِ له اشهى من الحر ، من نشوته على الظما المشعلِ  
غنّيتِ له تاريخنا ، أجمل الذكرى ، لشعبِ بطلِ امثلِ  
غنّيتِ له شطآننا والذرى ، في روعةٍ من نغمِ مذهلِ  
انا ... اذا غنيتِ لبنان عهداً ، يعنّي بالمجد مستقبلي

✱

غنّيه اخضر الاماني ، ضحوكاً ، كفه بذلّ بلا ماملِ  
ربوعه ! محبة ... بجرها ؟ رسالة الغفران للجّهلِ ...  
كم موقع بنا غفرنا له ، وكم تغاضينا ، ولم نسألِ  
ما همنا تجريح باغِ اجير ، لو تساحنا ، ولم ينجلِ  
ما هم من ثعالب السقع ، نسر حطّ في الذرى ولم ينزلِ  
لبنان يا انشودة المجد ، يا توأمه ، لك العلي فاعتلِ  
يا وطني يا جنة تشتهى ، جمّلها الله ، ولم يبخلِ  
وصفه يحلو في نمِ ملهم ، « فيروزه » ، يا بعلبك اعدي

# أمل

احمد سليمان ظاهر

أملٌ يدغدغ خافقي بجناحه  
أملٌ يشعُّ كأنه شمس الضحى  
أملٌ كماء المزن أنعش مهجتي  
أملٌ كزهر الروض ارسل طيبه  
فتحطُّ روحي كالهزار بساحه  
غمر الضلوعَ بفيضه وسباحه  
وشفى فؤادي من أليم جراحه  
وكبلبل خلب النهى بصداحه

✱

ما كانت الاحلامُ إلا رحمةً  
ارقي بآمالي رحاب جماله  
وارى الحياة سعادةً وهناءةً  
وإخال انسام الصباح قصائدًا  
وارى زهور الفجر تبسم للندى  
واصيح للسلسال يُرسل شدوه  
وارى الوجود كأنه إشرافةً  
امسي واصبح هائمًا بجماه  
وإخال اسراب النجوم كتابًا  
تلقي على الاظلال نوراً شاحباً  
وارى العباب صحيفةً زنجيةً  
واجيل طرفي في الوجود فتلقني  
واخطُّ في سفر الجمال ملاحماً  
فانا اسيرُ فتونه وجلاله

من خالقِ غمر الورى بجناحه  
وأرفُّ كالعصفور فوق بطاحه  
وارى الوجود يتيه في افراحه  
تشفي كسير القلب من اتراحه  
ويرف مختالاً جناح اقاچه  
متألثاً كالنور في مصباحه  
من فيض ربي من رحابة ساحه  
وارى الهناءة في نسيم صباحه  
من عبقرٍ رفّت على ادواحه  
سكب الهوى والحب في اقداحه  
وارى جمال السحر في اشباحه  
روحي بكل حسانه وملاحه  
تسي مخلّدةً على الواحه  
ونجى فتنته وطيب نُفاحه

## من طرائف الصحف والمجهرات

بقلم

الاب اتناز نصر ب م

### ١ - البابا الطبيب

في مقابلة خاصة جرت بين قداسة البابا يوحنا الثالث والعشرين وفريق من الاطباء ، نوّه قداسته في معرض حديثه عن سلف له في رئاسة الكنيسة ، واسمه يوحنا الحادي والعشرون ، مارس مهنة الطب قبل ارتقائه الى سدة القديس بطرس . فقام الدكتور اندره سوبيران ، وقد كان احد الحضور في مقابلة البابا ، وتحرى المصادر التاريخية من ينابيعها ، وها هو يتحفنا بنتائج اجرائه : ولد هذا البابا الطبيب في لشبونة ( اسبانيا ) سنة ١٢٢٠ وكان يدعى بيار بولياني ، جاء الى باريس يتعلم في جامعتها الشهيرة ، فدرس فيها الطب الى جانب دروسه اللاهوتية ، لان الطب في ذلك الزمان كان يعتبر اساساً للثقافة العامة الشاملة . وانتقل بعد ذلك الى سيّنا سنة ١٢٤٧ - ١٢٥٢ ، حيث بدأ يلقي دروساً في الطب . ثم تصادق مع الكردينال اتوبونو دي فياسكي ، الذي اصبح فيما بعد البابا ادريانس الخامس . ومرت الايام فاذا به يصبح المدير المسؤول عن جامعة لشبونة ، ثم رئيس اساقفة براغ سنة ١٢٧٣ .

وما يثير العجب انه من بعد سيامته الكهنوتية والاسقفية ، بقي يمارس مهنة الطب ، حتى اصبح رئيس الاطباء في قصر البابا غريغوريوس العاشر ، وقد رقيه هذا الاخير الى رتبة الكردينالية وعينه اسقفاً على فراسكاتي سنة ١٢٧٤ ، انتقل بعد قليل الى كرسي فيتارب وهي مركز مفضل عند الباباوات . وفي سنة ١٢٧٦ ، وهو لا يزال في مركزه الجميل ،

فوجيء بجبر وفاة صديقه ، البابا ادريانس الخامس ، بعد عهد قصير جداً ( فقط ٣٩ يوماً ) . فالتأم مجمع الكرادلة لانتخاب البابا الجديد ، واشتد الخلاف والنزاع فيما بينهم ، حتى اضطروا الى حبسهم بالقوة هناك ريثا ينتخبون رئيساً للكنيسة . فكان ان وقعت القرعة على الكردينال بيار بولياني ، فانتخب للسدة البطرسية بين ٨ - ١٣ ايلول ، واحتفل بتتويجه في ١٥ ايلول من السنة نفسها ١٢٧٦ .

واتخذ له اسماً جديداً ، يوحنا الحادي والعشرين . وكان همه الاولي ان يثبت بسلطته العليا مرايم سلفه بما يتعلق بانتخاب الباباوات . الا انه كان رجل علم اكثر منه رجل ادارة وتوجيه . والجدير بالذكر ان هذا الحبر ، الطويل الباع في الطب ، كان يجمع الى معارفه الطبية ، اطلاعاً واسعاً في علم المنطق ، فقد صنف مجموعة مختصرة ، بقيت طيلة ثلاثة قرون مرجعاً مدرسياً لعلم المنطق والجدل .

( عن صديق الاكايروس ت ١٩٦٢ )

## ٢ - الاقزام العبيد

في مجلة العلم الاميركية في عددها الاول من هذه السنة ، يتحدثنا الاستاذ كولين تورنبول ، الحبير في اصول الشعوب والمساعد الفني في المتحف الاميركي ، عن شعب بدائي يعيش في غابات الكونغو ، هو شعب الزوج الاقزام .

وما يرويه عن هؤلاء الاقزام ، انهم يعيشون جماعات صغيرة ، تتألف كل واحدة من نحو ثلاثين عائلة ، وتعد ما يقارب ١٥٠ شخصاً . وهم يسكنون الشمال الشرقي من الغابة الكبرى في الكونغو البلجيكي سابقاً . وجمعهم يناهز الاربعين الفاً لا غير ، بينما مساحة اراضيهم تبلغ ١٥٠ الفاً من الكيلومترات المربعة . وهم مولعون بالحرية والاستقلال ، ولكنهم في الوقت نفسه خنوعون لدى احتكاكهم بغير قبيلتهم ، فيغدون وضيعين خائفين ، ويخضعون لطقوس وعوائد القرى المجاورة لهم ، لا بل ايضاً تلك

التي يخيمون بالقرب منها ولو بنوع عابر . ويعاملهم الزوج « البانتو » معاملة قاسية ، وينظرون اليهم بازدراء واحتقار . لذلك حالما ينتهي هواء الاقزام من اعمالهم يفزعون الى غابتهم المفضلة حيث يجدون الطمانينة والامان ، لعلمهم ان البانتو لن يلحقوا بهم . وسبب ذلك ان البانتو يخافون اقتحام الغابة العذراء ، لانهم يجهلون معالمها وطرقها ، ويعتقدون بأنها موطن الجن . بينما الاقزام يرتاحون اليها كالى بيتهم الخاص ، لانهم يعرفون جميع مواردها الغذائية وحيواناتها ، ويصرحون بانه اذا ما وضعت اليد على الغابة لن يقبلوا بالحياة بعد زوالها .

ويحملون اسم « بامبوتى » ، واصلهم من السكان الاولين الذين استوطنوا الغابة الفسيحة الممتدة من الشاطئ الغربي تحت خط الاستواء الى البحيرات الكبرى الواقعة في الشرق .

ومن مميزات هؤلاء الاقزام ، قصر القامة الملحوظ ، فهي لا تزيد مطلقاً على المتر ونصف المتر . وليس لهم رؤساء ، بل كلهم متساوون من حيث الحقوق والواجبات : فالبالغون منهم يعاملون جميع اولاد القبيلة كأنهم اولادهم ، وكذلك النساء يتصرفن كأنهن امهات لجميع الاولاد . اما عمل النساء فيقوم بقطف الثمار من الغابة ومساعدة رجالهن في الصيد ، فيما ينصرف الرجال الى صيد الحيوانات وجمع العسل البري . ويتعاونون في عملهم الى حد كبير ، وطريقتهم في اقتناص الحيوانات لا تختلف من الطرافة ، فانهم يحوطون قسماً من الغابة بشباك قوية تعملو على وجه الارض متراً ونصف المتر ، فتقوم النساء عندئذ بالصراخ واحداث ضجة كبيرة في الغابة لتدفع بالطرائد الى الشباك ، حيث يترصدها القانصون فيرمونها بسهامهم ويقتسمونها . اما اذا توفرت لهم الطرائد وزادت ، اتوا بها الى قرى الزوج القريبة الى غابتهم ، واستبدلوها بمواد اخرى ضرورية لهم كالحديد مثلاً وبعض المواد والثمار التي لا يجدونها في غابتهم .

اما ثقافتهم فلا تزال بدائية . فمن حيث الفنون لا نجد عندهم سوى بعض التصاوير على اسلحتهم وآلات طربهم ، وفي الواقع هم مولعون بحب الموسيقى والرقص ، لهم تأليف في هذا المضمار لا تختلف من روعة وجمال .

ويخضع الاقزام لزواج القرى المتاخمة لغابتهم في مراسيم المداخلة (\*) والزواج والدفن . الا ان هذا الخضوع لمراسيم غريبة عنهم ليس سوى حيلة يلجأ اليها هؤلاء الاقزام لامر في النفس ، فانهم على ما يبدو يطمعون بما يرافق هذه المراسيم من ولائم فاخرة يجدون فيها متعة كبيرة . وهذا جل ملتسمهم . فلدى عودتهم الى الغابة يبقى الشاب الذي تمت له مراسيم المداخلة غير بالغ ، لا يستحق لقب البالغ بين الاقزام ، ما لم يتوصل الى قتل احد القبلة البرية .

حاول البلجيكيون المستعمرون تنظيم الزواج وتدريبهم على العمل ، لاسيما في زراعة القطن ، فاستخدم الزوج رفاقهم الاقزام في الاشغال دون نجاح كبير . فهب البلجيكيون عندئذ واستولوا على الاقزام بدورهم ، رغبة في تحرير هؤلاء من ذل الاستعباد لآخوانهم الزوج . فكانت النتيجة فادحة : لان هؤلاء الاقزام يعشقون الغابة وفيأها الوارف الظليل ومياهاها الباردة المنعشة ، حيث لا بعوض ولا هوام تلسع وتبث الامراض ، فرزحوا تحت وطأة الشمس المحرقة وتفتت بينهم الامراض الخبيثة التي لم يعرفوها الى ذلك الحين ، وليس لهم مناعة الزواج القرويين للتغلب عليها . اما ذروة البلاء فكان اضطرار هؤلاء الاقزام الى ترك هوايتهم المفضلة ، صيد الحيوانات وقطف الثمار ، لقاء اجور كافية وحياناً مغرية . وقد ظن البلجيكيون انهم قاموا بعمل انساني ، اذ رفعوا هؤلاء من حالتهم البدائية الى حالة تقدمية تليق برجل القرن العشرين . ولكن في نظر الاقزام كانت المحاولة فاشلة ، وقد تركت في اعماقهم جرحاً بليغاً عميق الأثر . وخير دليل على صحة ذلك ما حصل لهم بعد استقلال بلاد الكونغو ، فقد اجمعوا كلهم تقريباً على الرجوع الى حياتهم السابقة وغابتهم المحبوبة ، وقد صرح احدهم : « اذا قطعت الغابة فأنا نموت . »

لقد عادوا الى الغابة ، التي احبوها واختاروها لانفسهم موطناً ومسكناً تسوده الطمأنينة والسلام .

عن مجلة العلم الاميركية

٢٤ سنة ١٩٦٣

(\*) مقابل كلمة initiation حسب مرجع الملايبي .

## ٣ - التحري عن المياه

لسبع سنوات خلت ، عالجت مجلة « العلم والحياة » الفرنسية ، موضوعاً يتناول تحري المياه . فبعد ان اجرت استفتاءً واسع النطاق مع جماعة العلماء ، انتهت الى النتيجة التالية : « الراديسيزي لا تمت الى العلم بشيء ، واذا ما اصبحت يوماً في متناول العلم فانها ستتهار وتزول » .

وتعاقبت الايام واذا بالعلم يخطو خطى جبارة في شتى الميادين ، فينبهي العالم الكبير ايف روكارد ، استاذ جامعة العلوم في باريس ومدير اكبر المختبرات الفرنسية ، ويشبع الموضوع درساً واختباراً من اصوله ، فيتوصل الى النتيجة : « بلى ، تحري المياه علم حقيقي ، ثابت الاركان » . اجل هناك حقيقة طبيعية ، واضحة يمكن شرحها وقياسها ، ستفتح باباً واسعاً امام الراديسيزي ، وتنصبها عالية الجبين بين فروع العلم الثابتة .

وها نحن نوافي القراء بهذه البشرى العلمية الكبرى ، التي سوف تقلب اوضاعاً كنا نظنها ثابتة ، وتفتح آفاقاً جديدة للعلم .

ان الواقع ، او اذا شئتم الادعاء باكتشاف المياه او المعادن في جوف الارض ، وذلك بواسطة قضيب او ساعة يحملها بين يديه كاشف الينابيع ، امر واضح يعرفه الجميع .

عرف استخدام القضيب للتنقيب عن المياه منذ اقدم العصور ، فقد ذكر الاستاذ روكارد صاحب المقال ، وجود نقوش صينية ترجع الى القرن الثاني للمسيح ( سنة ١٤٧ ) ، تصور الامبراطور الصيني « بو » ، وقد ملك من سنة ٢٢٠٥ الى ٢١٩٧ قبل المسيح ، ماسكاً قضيباً بين يديه ، كما وجدت كتابة توضح ان الامبراطور اشتهر بعلمه واكتشافاته لمراكز المعادن والينابيع . وعلى توالي العصور نجد ذكراً « للقضيب السحري » ، وفي مصادر موثوق بها ، منها توراة موسى وهي تروي لنا كيف فجر النبي ماء للشعب الاسرائيلي في البرية بواسطة « قضيب » ، وما سطرته اقلام مكشفي الينابيع في عصرنا الحاضر .

ولكن هذه المقدرة العجيبة ، التي تبجح بها كاشفو الينابيع رداً من الزمن ، وكأنها هالة سحرية ، هي التي اثارت عليهم حفاظة العقليين . وكان اول من شك بصحتها اللاهوتيون من بروتستانت وكاثوليك . ومضت الايام فتأب الحُصوم ونسبوا هذه القدرة الى الشعوذة ، منكرين عليها كل ميزة علمية . وفي سنة ١٩٥٦ قدم فريق من العلماء دعواً نهائياً لكل ادعاءات الراديوستيزي .

واخيراً جاء العالم روكارد ، وبدون ان يتعرض لدحض براهين الحُصوم ، فضل الولوج رأساً الى صميم الموضوع ، فلجأ الى استخدام القضيب بنفسه ومراقبة كاشفي الينابيع عن كثب اثناء عملهم ، فقاده هذه الطريقة العلمية الاختبارية الى نتائج مدهشة حقاً ، اصدر على اثرها كتابه « دليل كاشفي الينابيع » الذي احدث ضجة كبرى . اما الارتيايون ، وهم ينكرون واقعية هذا الحدث الطبيعي ، ولكنهم لا يجراؤون على انكار تحريك القضيب ، ينسبون ذلك ، عدا حالات المداينة والتدجيل ، الى الالحاء الذاتي اللاشعوري . غير ان جميع هؤلاء الارتيايين ، بعد اطلاعهم على الوقائع الراهنة ، تراجعوا عن موقفهم مهملين رأيمهم الاول الذي يبدو خارج نطاق الاختبار . ومن جهة اخرى ، لاحظ الاستاذ روكارد ، بأن مفعول المنطقة الحساسة لا يسجله كاشف الينابيع على الفور ، بل يتطلب احياناً ١٥ الى ٢٠ ثانية للابتداء بالشعور . وقد لا يشعر بوجود هذه المنطقة الحساسة الا بعد الابتعاد عنها .

ولكن اخفاقات السابقين كانت مفيدة للعالم روكارد وفرقته ، فقد نظموا وبوبوها فأروا انها ليست نتيجة الصدف . من الاكيد ان كاشف الينابيع كثيراً ما يصعب عليه الاهتداء الى وجود الماء في قطعة من الارض ، ولكن ليس كل نوع من الماء : فالمياه الراكدة لا تعطي دلائل امثال المستنقعات والجداول والاقنية المحكمة . اما الادلة الواضحة فلا تلاحظ الا فوق مياه تحتيرية متحركة ، وخاصة المياه التي ترشح خلال الطبقات الارضية . وفي الواقع يبدو ان المياه التي ترشح في الاوساط المسامية تولد طاقات كهربائية متحركة تحت تأثير اختلاف الضغط ، وهذه الطاقات تبعث

في الارض تيارات كهربائية . وفي كثير من الحالات ترافق وجود الماء ظواهر اخرى لاحقة ، تسبب في الارض اختلافاً في الطاقة الكهربائية تكون غالباً اكثر اهمية . واذا قلنا تياراً كهربائياً نفترض وجود حقل مغنطيسي ولو ضئيل . فاذا تحركت آلة فوق منطقة الترشيح ، وكانت الآلة حساسة ، فانها تسجل دون ريب هذه التقلبات . ويعتقد الاستاذ روكارد ان جسم الانسان له هذا الجهاز العجيب ، وبالتالي لا يعمل القضيب او الساعة الا على كشف هذا الشعور الفيزيولوجي . فتحت تأثير تبادل الحقل تبطل ان تنفذ اوامر العقل الموجهة الى اليدين ، بدون ان يفتن لها الدماغ .

### القضيب وطريقة استعماله لاكتشاف الينابيع

اما القضيب المستخدم للتنقيب عن المياه فله فرعان او يكون مؤلفاً من قضيين محكمي الربط من طرفيهما ، ويبلغ طوله اربعين سنتيمتراً . وكل الاخشاب صالحة ، الا ان خشب البندق يفضلها جميعاً بسبب ليئته ، وكذلك الامر يمكن استخدام مواد اخرى عضوية ومعدنية ، شرط ان تعطى شكل المذرى وتكون ليئة .

اما طريقة استخدام القضيب للتنقيب عن المياه فتم على النوع التالي : يكون عضدا اليدين ملاصقين للجسم وعموديين ، اما الساعدان فافقيين انما دون تصلب ، والكفان قابضين على القضيب وضاعطين على كل فرع منه ، متجهين الى فوق . وفي هذه الاثناء يشعر الانسان برودة فعل ناجمة عن القضيب المفتوح على هذا النمط ، والذي يبقى في وضعه الافقي ، رأسه الى الامام . عندئذ قرب الذراعين قليلاً دون تحريك الكفين ، حانياً القضيب قليلاً نحو الارض . فتصل اخيراً الى الحد الاقصى بحيث ينشأ شعور عند ادنى حركة اقتراب من الذراعين . وهذا ما يسمونه « مركز عدم الاستقرار » : الناشء عن شكل القضيب واعصاب الذراعين والمراقبة الارادية للحركات ، يقوم بها الدماغ ، فيكون ان التوازن الموجود ، وقتي وسريع الزوال ، تقضي عليه سريعاً ، ادنى حركة او سبب آخر

يؤثر سواء على القضيبي او على القوى النقيضة في الاعصاب .

ونختم مقالنا بما كتبه مجلة العلم والحياة الفرنسية في عددها الاول من سنة ١٩٥٦ ، تحت عنوان «عصا موسى تستخدم دوماً للتنقيب عن المياه» ، جاء فيها :

« يعد النبي موسى شفيع المنقبين عن المياه في جوف الارض . ففي عصر العلم الايجابي لا يزال القضيبي معتبراً من افضل الوسائل لاكتشاف المياه . ويتألف كما نعرف من فرعين مرتبطين بطرفيهما ، ولكن قبل ربطهما لا بد من تعيين الطرف الايجابي والسلمي بواسطة الساعة . فالقضيبي ، وهو اقل دقة من الساعة ، يبقى الآلة المفضلة للتنقيب عن المياه . »

عن مجلة العلم والحياة الفرنسية  
ايار سنة ١٩٦٣

## STUDIO MISR

Imm. LAZARIEH

TÉL : 237170

## ستوديو مصر

بناية المازرية

تلفون : ٢٣٧١٧٠

المجهز بأحدث الآلات الالمانية

يقدم صورة مكبرة مجاناً

لكل من يتصور نصف دزينة باسبورت

اتقان في العمل • مهاودة في الاسعار

\* تسليم صور الباسبورت بمدة ساعة \*

تظهير وتكبير ومبيع افلام ، تلوين في

تصوير جميع الحفلات والاعراس ليلاً ونهاراً

بناية المازرية تجاه كاتدرائية مار جرجس

# بابا السلام والوحدة

في ذمة الله

كان هذا العدد من مجلة الرسالة في آخر صفحاته ، حين طير البرق الخبر المشؤوم ونعت محطات الاذاعة والصحف والوكالات العالمية وفاة قداسة البابا يوحنا الثالث والعشرين ، فاهتز العالم بأسره لهذه الفاجعة ، ولم يبق من فم في العالم ، او قلم او عين او قلب ، من مختلف الاديان والطوائف والالوان ، الا وصعد صلاة حارة ، او دبح مرثاة وتقريضاً ، او ذرف دموعاً ، او نبض نبضة اللوعة والاسى ...

ولا عجب ، فقداسة البابا الراحل ، كان رجلاً عالمياً ، تعدت رعايته ونشاطاته حدود ابرشيته وكنيسته ، وشملت اطراف المسكونة ، فكان رسول المحبة والسلام والوحدة والامل والتقدمية للانسانية جمعاء .

فالرسالة المخلصية تشارك العالم بأسره حزنه وأسفه ، وتنشر على صفحاتها الى جانب حياته ، بعض الاصداء الصحفية والعالمية ، التي احدثتها وفاة هذا البابا الكبير .

١ - سيرة قداسة البابا

« ستكون في احد الايام الخبر الاعظم » .

بهذه الكلمات استقبل طيبب قرية سوتو ايل مونتي القرية من بيرغامو في آب عام ١٩٠٤ ، الكاهن انجيلو جيوسيب رونكالي ، بمناسبة سيامته كاهناً واحتفاله باول قداس في بلده . وقد تلقى الكاهن رونكالي الذي كان يبلغ الثانية والعشرين من عمره ، هذه النبوءات بشيء من العصبية والاحتداد ، ولم يرد ان يتصور انه سيصبح من عظام البابوات وبابا المجمع المسكوني والممشورات البابوية الهامة .

ولد قداسة البابا يوحنا الثالث والعشرين في ٢٥ تشرين الثاني عام ١٨٨١ ، من عائلة من المزارعين في قرية سوتو ايل مونتي ، وقد تخرج من الاكليريكية الاسقفية في برغامو قبل ان يحصل على ملفنة اللاهوت . وقد التحق من ١٩٠٥ حتى ١٩١٤ بالمونسنيور راديني نيديشيني اسقف برغامو بصفته سكرتيراً له ، وقد تأثر خلال هذه الفترة بشخصية هذا الحبر الفذة . وفي الوقت نفسه كان يعلم التاريخ الكنسي في الاكليريكية برغامو ويوسع معلوماته التاريخية ، الى ان اصدر مؤلفات ذات قيمة .

عندما اندلعت الحرب العالمية الاولى دعي الاب رونكالي الى خدمة العلم ، واصبح ممرضاً ثم مرشداً روحياً . وفي نهاية الحرب العالمية الاولى اسس في برغامو « بيت الطلبة » الاول من نوعه في ايطاليا ، ثم اخذ يبدي نشاطاً في الرسالة والتبشير .

وفي ١٩ اذار عام ١٩٢٥ سيم اسقفاً بيد الكردينال تاتشي رئيس مجمع الكنيسة الشرقية ، ثم اوفده قداسة البابا بيوس الحادي عشر بصفة نائب قاصد رسولي في بلغاريا ، حيث دخل في اتصال مباشر مع المشاكل القائمة في الكنائس الشرقية ، ثم عين قاصداً رسولياً في عام ١٩٣١ وبقي في بلغاريا حتى عام ١٩٣٤ . ثم اوفد الى تركيا واليونان حيث اكتسب شهرة واسعة خاصة بسبب انصرافه الى ترجمة بعض الصلوات العادية الى اللغة التركية .

في باريس تلقى المونسنيور رونكالي الذي عين كردينالاً في مجمع الكرادلة عام ١٩٥٢ ، تلقى القبة الحمراء من يد رئيس الجمهورية الفرنسية المسيو فانسان اوربول .

وعاد الكردينال رونكالي بعد ذلك الى ايطاليا وعينه قداسة البابا بيوس الثاني عشر بطريكاً على مدينة البندقية . وفي عام ١٩٥٧ اوفده قداسة الحبر الاعظم ليتراس الحفلات التي ستقام في لورد بمناسبة مرور مئة عام على ظهور العذراء مريم . وكان قد زار لبنان خلال سنة ١٩٥٤ بمناسبة الاحتفالات المريمية .

في ٢٨ تشرين الاول عام ١٩٥٨ اعلن الكردينان نيقولا كانالي في كاتدرائية القديس بطرس ان مجمع الكرادلة قد انتخب الكردينال انجيلو جيوسيب رونكالي لخلافة القديس بطرس .

وما ان انتخب الكردينال رونكالي للسدة البطرسية ، حيث اعتقد البعض انه انتخب بابا مؤقتاً نظراً لكبر سنه ، حتى ظهرت شخصيته الفذة ورغبته بعدم المحافظة على التقاليد وبعدم الانحباس روحياً ومادياً بقوانين قاسية .

واول تدبير ثوري اتخذته كان بزيادة عدد الكرادلة المحدد منذ القرن السادس عشر بسبعين كرديناً ، عندما رسم في عام ١٩٥٨ ، ٢٣ كرديناً جديداً . ومنذ بداية عهده اخذ يضاعف زيارته الى خارج الفاتيكان ، فزار المستشفيات والسجون .

وفي كانون الثاني عام ١٩٥٩ كشف النقاب فجأة في اثناء زيارته لدير البندكتيين عن رغبته بالدعوة الى عقد سينودوس روماني ، وخاصة عقد مجمع مسكوني ، وبدأ يستعد منذ ذلك الحين بكل قوته لاعداد هذا المؤتمر المسكوني ، ويبشر بمبدأ وحدة المسيحيين . وفي كانون الاول عام ١٩٦٠ تكملت جهوده بهذا الصدد بأول نجاح ، عندما قام رئيس اساقفة كاتربوري الدكتور جوفروا فيشر بزيارته في الفاتيكان .

وبدأت تتوافد على الفاتيكان كبار الشخصيات العالمية لزيارة قداسة البابا يوحنا الثالث والعشرين ، فاستقبل على التوالي كلاً من الجنرال ديغول والرئيس ايزنهاور وشاه ايران والملكة اليزابيت ملكة بريطانيا والامير فيليب وملوك اليونان والدانمارك والسويد وتايلاند والمستشار اديناور . وكان من المقرر ان يستقبل في الشهر القادم الرئيس كيندي .

في نهاية عام ١٩٥٩ عين قداسته ثمانية كرادلة جدد ، كما عين سبعة آخرين في اذار عام ١٩٦٠ ، بينهم للمرة الاولى كردينال باباني وآخر من الفلبين وثالث افريقي ، ثم عين اربعة آخرين في كانون الثاني عام ١٩٦١ . وقد تولى بنفسه سيامة ١٥ اسقفاً افريقياً واسيوياً في ايار عام ١٩٦٠ ،

رغبة منه باظهار اهتمامه للبلدان التي حصلت حديثاً على الاستقلال .  
وفي كانون الثاني عام ١٩٦٠ ترأس الحبر الاعظم السينودس الروماني  
الذي كان تمهيداً للجمع المسكوني .

في عام ١٩٦١ اذاع قداسة الحبر الاعظم منشوره البابوي الشهير  
« ماتير اية ماجيسترا » وذلك احتفالاً بالذكرى السبعين للمنشور البابوي  
الاجتماعي « ريروم نوفاروم » ، الذي كان قد اصدره البابا ليون الثالث عشر .  
ويعتبر المنشور « ماتير اية ماجيسترا » الميثاق الاجتماعي للكنيسة للنصف  
الثاني من القرن العشرين . وقد أكد قداسته في هذا المنشور الواجب  
الملقى على عاتق الدول المتطورة لمساعدة الدول المتخلفة مادياً وروحياً .

في خريف عام ١٩٦٢ افتتح المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني وهو  
الحدث الكبير في عهد بابويته ، ولا شك بأن الاستعراض الضخم الذي  
قام به ٢٥٠٠ اسقف من العالم اجمع في ساحة القديس بطرس بهذه  
المناسبة ، كان من المشاهد النادرة التي سيتحدث عنها التاريخ . ولم يشأ  
قداسته ان يفرض وجوده او ارادته على المجمع ، غير انه تدخل كحكم  
وراعٍ وأب للجميع .

## ٢ - قداسة البابا والكنائس الغير الكاثوليكية

صرح قداسة البابا يوحنا الثالث والعشرين في يوم تنويجه السعيد  
بقوله : « يعلل الجميع نفوسهم بالآمال في موضوع البابا الجديد ... فمنهم  
من يريد سياسياً محنكاً أو رجل دولة قوياً ، ومنهم من يود ان يرى  
فيه العالم الضالع والاداري الفذ . والحقيقة ان احداً لم يصب الهدف ،  
لان البابا الجديد وضع نصب عينيه صورة الراعي الصالح الرائعة التي  
وسمها القديس يوحنا الانجيلي طبقاً لعبارات المسيح نفسه » .

ومن مدة قريبة صرح قداسته ايضاً : « لا اعبأ بما يقول الناس  
عني او يبطنون حول شخصي من افكار ... علي ان اكون صادقاً في

تتميم قصدي الصالح وهو ان الزم الجودة واللطف كل حين ومع اي انسان ... »

تلك هي تصريحات قداسة البابا منذ مستهل حبريته حتى اليوم ، تشكل الالف والياء من ايجابية ادارته الروحية للكنيسة الكاثوليكية . كما املت وما زالت تملي عليه جميع تصرفاته ومواقفه مع الكنائس الغير الكاثوليكية . ومن اروع مظاهر محبته هذه ، انه آلى على نفسه عدم مس كرامة تلك الكنائس بشيء حتى ولا بكلمة واحدة ، وعليه فلم يفه ولو مرة واحدة حتى الآن بكلمة « بروتستنت » او « ارثوذكس » ، بل استعاض عنها بكلمة « اخوتنا المنفصلين » ، كما انه لم يستعمل قط كلمة « ارتداد » بل كلمة « وحدة » .

ولا نعجب من بعد اذا ما رأينا الفاتيكان يصبح في عهده كعبة العالم الغير الكاثوليكي ومحط انظاره ومرمى آماله ، واذا ما رأينا نخبة اقطابه يسارعون الى زيارة البابا ، امثال رئيس اساقفة كنتربوري الانكليكاني في بريطانيا ، ورئيس اساقفة الكنيسة البروتستنتية الاسقفية في الولايات المتحدة ، ورئيس كنيسة سكوولند ، حتى ملكة بريطانيا نفسها ... ولا تزال الصحف العالمية تذكر بالمدح والثناء مبادرة البابا بارسال مراقبين رسميين من قبله الى مجمع رودس للكنائس الارثوذكسية ، وارسال بعثات باسمه تحمل ، مع حبه الصادق ، هدايا ثمينة الى صاحبي الغبطة بطريركي القسطنطينية وموسكو .

وتمشياً مع هذه الروح الانجيلية العميقة والشاملة ، دعا قداسته جميع الكنائس الغير الكاثوليكية لايفاد مراقبين عنها الى المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني . فلبى الدعوة اكثر من اربعين منها ، بما يمثل نحو مئتين وخمسة وعشرين مليوناً من غير الكاثوليك . رائد البابا في كل ذلك روح المحبة التي لا تعرف حداً ، لانها والله سواء . وما الخلاف بين الكنائس الا مظهراً جلياً لبعدها عن روح الانجيل . وفي هذا الموضوع ، صرح قداسة البابا انه لا يزال حتى الآن يذكر الاثر العميق الذي تركته في نفسه كلمات كاهن ارمني طاعن في السن ، يوم كان البابا ممثلاً للفاتيكان في البلقان ، قال ذلك الكاهن : « يا صاحب السيادة ، نقرأ في الانجيل ان

السيد المسيح يغفر جميع الخطايا الا واحدة لا يمكن ان تغفر لا في السماء ولا على الارض . فما هي تلك الخطيئة ؟ اليست خطيئة انقسام الكنيسة ؟ ... »  
 ففي سبيل القضاء على انقسام الكنيسة قضاء مبرماً ، لم يألُ قداسة البابا جهداً في اظهار محبته الصادقة لغير الكاثوليك . فقبل انعقاد الجمع المسكوني الملتئم في الفاتيكان بعدة اسابيع ، راح قداسته يفكر في توفير اسباب الراحة للمراقبين طيلة اقامتهم في المدينة الخالدة ، فأمر بأن تحجز لهم طائفة من الفنادق الحديثة على مقربة من كنيسة القديس بطرس وعلى نفقة الفاتيكان ، كما امر بأن يخصصوا بأقرب المقاعد الى قداسته في جميع جلسات الجمع ، حتى في الجلسات السرية منها . وزاد فأمر بأن توزع على هؤلاء المراقبين لوائح جداول الاعمال ، مع العلم ان هذه اللوائح سرية لا يطلع عليها الا آباء الجمع .

وقد اعرب هؤلاء المراقبون ، اكثر من مرة ، عن بالغ ارتياحهم لبوادر اللطف والمحبة التي يحيطون بها ، خصوصاً من قبل قداسة البابا . وقد علق الدكتور جورج وليمس المراقب البروتستنتي الاميركي ، على مقابلة البابا للمراقبين الغير الكاثوليك ، في الكابلا السكستينية في ١٣ تشرين الاول ، بقوله : « لم يعتلِ البابا عرشه كالعادة ، بل جلس على كرسي بسيط لا يختلف في شيء عن مقاعد جميع المراقبين . فالبابا لا يضع نفسه في درجة اسمى من درجتنا كأنه اعلى منا . انه معنا » . وفي الواقع ، كم كانت دهشة المراقبين كبيرة لدى سماعهم حديث البابا . فقد ضرب قداسته بتقاليد الباباوات والملوك عرض الحائط ، وسجل ثورة فريدة في نوعها ، اذ استعمل صيغة المتكلم المفرد بدل صيغة الجمع ، كل مرة تكلم عن نفسه . وقد قام بذلك بلذة بادية وتواضع سافر . وفي نظر هؤلاء المراقبين ، كان هذا الاسلوب ذروة ذلك الاسبوع وحدثاً خطيراً في تطور العلاقات بين الكنيسة الكاثوليكية وسائر الكنائس . وقد صرح القس برنارد بولي المراقب الانكليكاني ، بعد هذه المقابلة ، بقوله : « ان الجو الجديد في روما هو ذوبان جليد اربعة قرون من التنافر والعداء » .

ولا اجمل من قول قداسة البطريرك المسكوني اثنيناغوراس عندما طلب اليه ان يبدي رأيه الشخصي في البابا يوحنا ، فقال مردداً كلام الانجيل : « هذا انسان مرسل من الله اسمه يوحنا » ( يو ١ : ٦ ) .

٣ - من اصداء الصحافة اللبنانية

من كلمة الاستاذ عبد الله اليافي

وليس هنا مجال تعداد مزايا الراحل الكبير . ولكن المناسبة تفرض ان نقف من حياته الزاخرة بالثواب الطيبة ، امام امرين نستخلص منهما رسالة وعبرة :

فأما الامر الاول ، فسمي لا يهدأ من اجل السلام في العالم .

وقد تذكر بالحمد ، في هذا الصدد ، مساعي البابوات ، الذين سبقوا قداسة يوحنا الثالث والعشرين ، ولكن يبقى الراحل الكبير اشدهم إلحاحاً واكثرهم دأباً في الدعوه لهذا السلام ، وفي العمل على تثبيت دعائه بعد ان اطل العالم ، مع اكتشافه للأسلحة النووية ، على هاوية دماره وفنائه .

ثم ، ان زعيم الكنيسة الرومانية الراحل لم يكن ليرضى في دعوته للسلام ، بأن يكون سلاماً مستنداً الى القوة والاكراه ، فمثل هذا السلام الخادع كان بعيداً عن تفكيره ومغيراً للمفاهيم التي اكتسبها من خبرته الواسعة في الشؤون الدولية .

اما السلام الذي كان يدعو اليه وينشده ، ويلح من اجل تحقيقه ، فهو ذلك الذي يستند الى الحرية والعدل والمحبة ، كما حدده وشدد عليه في منشوره الاخير « السلام في الارض » ، الذي اذاعه قبل مرضه بوقت قصير .

ان موقف يوحنا الثالث والعشرين هذا من قضية السلام العالمي ، قد حجب الناس به ، وانتزع تقديرهم له ، واحترامهم بجنان لشخصه ،

ولم يقتصر هذا التقدير على اولئك الذين يؤمنون ايمان قداسته ، او الذين يؤمنون بالشرائع والاديان السماوية بوجه عام .. بل شمل حتى الملمدين من قادة الدول الشيوعية ، الذين بادروا الى تقديم جائزة السلام له ... فكان ان تقبلها منهم بلا تردد وپروج سمحة ، الامر الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية الطويل ! واما الامر الثاني فعبوة تستخلص من فهم الراحل الكبير ، لدوره كزعيم للكاثوليكية في عصر تجتاحه آراء وافكار ثورية جديدة .

لقد تمكن قداسة الحبر الراحل من الالتقاء مع روح العصر العشريني ، فلم يجعل من الجالس على عرش « ملك الملوك » شخصاً خيالياً يلفه الغموض وتحجبه عن آعين المؤمنين ستائر تخفية كثيفة ، بل انتهج نهجاً متطوراً جمع فيه بين الهبة الروحية للمركز البابوي وبين انسانية الممثل للكرسي الرسولي ، في علاقاته برعاياه وفي تصرفاته مع الناس .

لقد نزل يوحنا الثالث والعشرون الى اعماق الشعب يواسي ابناءه ويخفف من متاعب الحياة وآلامها عليهم ، فاعاد ، بذلك ، الى نفوسهم الثقة بالقيم الدينية والاخلاقية واطمأن قلوبهم بالايان وبالغد الافضل المنشود !

بذلك ارتفع يوحنا الثالث والعشرون بالكنيسة الرومانية الى روح العصر الحاضر ، ووضعها وجهاً لوجه مع اشواق الملايين ، في تحقيق العدالة الاجتماعية والتحرر من المرض والجهل والظلم والطغيان .

وبذلك ايضاً اضاء قنديلاً جديداً على درب الدعوة ، التي تنادي بأن رسالة الاديان السماوية تلتقي مع روح العصر التقدمي ولا تتنافى او تختلف معه .

من كلمة الاستاذ ميشال ابو جوده

فالبابا يوحنا جعل من وفاته حدثاً اهم من حدث انتخابه . وهذا

نادر في تاريخ البابوات ... والبابا يوحنا جعل العالم يتعلق به الى حد نسيان ان عمره بلغ الحادي والثمانين . كان العالم يريد منه ان يبقى ليكمل عملاً هاماً لا يقوم به الا الحكام الشباب ، الذين ياخذون على عاتقهم المهمات التطورية الاساسية في التاريخ . البابا يوحنا انتخب ، نظراً لكبر سنه وتواضع شأنه بين الكرادلة ، لينقل الكنيسة من بابا الى آخر فنقلها من الماضي الى الحاضر بل الى المستقبل . والبابا يوحنا جعل الكنيسة فاعلة في عصرنا الحاضر عوض ان تبقى منفعة . جعلها تقدمية وسط عالم من الدول المحافظة ، المنتسبة الى الفاتيكان وغير المنتسبة اليه . جعلها عصرية اللسان الى حد احراج الكثير من الحكام المسيحيين الحاكمين حالياً بعقيلة القرون الماضية ... الحكام ورؤساء الاديان والطوائف .

من هنا ان وفاة البابا يوحنا ستكون ليس فقط نهاية تجربة جريئة بل بداية لتجربة مجهولة ستقاس اهمية صاحبها بالنسبة الى ما عمله البابا الراحل . فالكنيسة والعالم مدعوان خلال الايام القادمة لا الى انتظار انتخاب بابا جديد فحسب بل ، وخاصة ، الى انتظار انتخاب خليفة ليوحنا الثالث والعشرين .

والبابا يوحنا لم يترك لخليفته المنتظر ارثاً ضخماً واهمية دولية لا سابق لها في تاريخ البابوات فحسب بل ترك ذلك الثالث الخطير الذي لم يفارق شفثيه طيلة ايام الوفاة : الكنيسة والمجمع والسلام . الكنيسة كرابط بين الكاثوليك . والمجمع كمدخل نحو الوحدة المسيحية . والسلام كقاسم مشترك بين جميع الشعوب والدول وكأهم قضايا العصر .

لعلها من اندر المرات في تاريخ الكنيسة ، التي ترتفع فيها اهمية العمل الانتخابي الذي سيارسه الكرادلة ، الى مستوى الحدث الذي يهم العالم بأسره ، خاصة عالم الحكومات والدول والعقائد والانظمة ، فضلاً عن عالم الكنيسة وما يرتبط بها من عالم المجمع المسكوني .

## من كلمة الاستاذ رشدي المعالوف

بساطته جعلته عظيماً !  
 لقد استلهم قلبه ، فاتصل مباشرة بالبشرية كلها ،  
 وبروح العصر ،  
 وبالله !  
 فلما اشرف على الوداع ، عرف التاريخ لأول مرة كيف تشترك  
 الانسانية كلها في وداع انسان !  
 ويوم تسنم السدة ظنت سذاجة الحكم على الاحداث انه التسوية  
 الممكنة ، فاذا به التنفيذ الافضل للتصميم الافضل ،  
 واذا هو الحل المطلق ،  
 واذا اختياره هو الالهام الحقيقي ،  
 واذا بذلك المقتدي ببساطة بالمسيح يجدد للناس القدوة ،  
 ويجسد للعالم النعمة :  
 فالمرح الذي عاشه جعل الناس يدركون ان فرح النفس لا يتناقض  
 مع وقار الروح ، وان طلاقة الوجه لا تتناقض مع عمق الشعور  
 بمسؤولية اكبر رسالة !  
 والتواضع الذي عاشه جعل الناس يعرفون ان الوداعة لا تتعارض  
 مع السموة !  
 والتسامح الذي عاشه جعل الناس يدركون ان الايمان لا يتناقض  
 مع المحبة !  
 وانفتاحه العملي على العصر ، وتجاوبه مع متطلباته ، جعل الناس  
 يعرفون كيف يكون الجمع بين الاصاله والتطور ، وبين الحياة  
 والمثل الاعلى !

والسلام الذي توج به رسالته مؤسساً اياه على « الحقيقة والعدل  
 والمحبة والحرية » ، جعل الناس يتشبثون بتلك الاسس الاربعة

للسلام تشبثهم بالسلام ، فكان ذلك اكمل دستور للمدنية في سبيل  
اكمل هدف للانسانية !

فخرنا نحن ابناء هذا العصر هو اننا عرفنا بأننا عاصرنا قدسياً ،  
وغطتنا اننا نعمنا بتلك القداسة ،

وصلاتنا اليوم ، والأب العظيم قد ودعنا ، هو ان تظل رسالته معنا ،  
مع كل منا !

فلقد سهّل قداسته طريق العظمة :

كل من احب البشرية عظيم ...

وعظيم بنسبة ما يعيش حبه !

ومن هنا ان راحلنا عظيم الارض !

### من كلمة الاستاذ محمد باقر شري

العضو الوحيد الذي ظل اقوى من النزع واقوى من السرطان  
والالم هو قلبه . قلبه القوي المسلح بايمان خارق . كان موته بجد  
ذاته معجزة تعادل معجزة تحقيق الانجازات الروحية الضخمة التي  
تمت على يديه خلال ولايته الدينية القصيرة . وربما كان هو ابن  
البشر الوحيد من رجال الدين الذي يبرق اليه كاسترو وكيندي ،  
في وقت واحد متمنين له الشفاء . وربما كان هو المؤمن الاول  
الذي يخفق الملحدون اعلامهم حزناً عليه . وربما كان هو الكاثوليكي  
الوحيد الذي قلق لصراعه المرّ مع الموت البروتستانتيون والارثوذكس  
والهنود الحمر والهندوس ، وكاد المسلمون يقيمون الصلاة على روحه  
في مساجدهم .

والسر في كل ذلك انه كان انساناً قبل ان يكون مسيحياً .  
بل قل لقد كان مسيحياً حقيقياً لانه كان انساناً حقيقياً ، كان  
يجمع الرجولة والشجاعة الى جانب البساطة ، وكان يجمع الذكاء  
الى جانب الطيبة ، وكان يجمع التحرر والفكر النير الى جانب

التواضع واصالة الايمان بالانسان . ابن الفلاح « وبابا الشعب » كان يستشعر المشكلة الاجتماعية مشكلة العصر ، وكان لا يريد للكاتوليكية ان تقفل نوافذها وتعميش في الظلام . اراد الكاتوليكية اكثر تقدمية . ولم يخشَ التحدث بعمق عن ضرورة تبني الاشتراكية على صعيد العدالة وانتزاع حق المحرومين . ولعل ابرز صفاته انه انسان نائر يحمل عقل عبقرى وقلب طفل ناصع ، وانه لم يكن يفكر بالمجد ولا الوجاهة الدينية .

لقد كان يوحنا الثالث والعشرون طليقاً حراً الا من قيد واحد ، هو قيد الضمير البشرى . وقد لقن للصغار الضعاف المزعزعي النفوس ، الدروس في السموات على التعصب وضيق الافق .

### من كلمة الاستاذ باسيل دفاق

السلام والوحدة والتطور . تلك عناوين السفر الجليل الذي طويت صفحاته هذا المساء بوفاة البابا يوحنا . وانه لثالث تبرز هنا معانيه في عالمنا العربي . فلقد يكون كثيرون على الارض بحاجة الى السلام والوحدة والتطور ، ولكن مؤكدا ان ليس على الارض كلها من يحتاج حاجتنا اليها جميعاً .

لقد عمل الحبر الاعظم الراحل من اجل السلام ، حين ناشد عظماء الدول الكبرى مرتين تاريخيتين ، ان يجعلوا المفاوضة اساساً لحل منازعاتهم الزمنية ، وبصرهم بعاقبة تسخير مكتشفات العلم ومنجزاته للقتل والتدمير ، ودعاهم الى جعلها وسائل للمزيد من السعادة والرفاهية لبني البشر .

وكان المهم في الدعويين انها وجهتا ايام الازمات المستحكمة بين الدول العظمى ، وعلى الخصوص بين المعسكرين الغربي والشيوعي . ولقد يكون من آثار النداءين ما شهدناه في السنتين الاخيرتين من انفراج في مواقع التشابك الدولي ، ولاسيا كوبا وبرلين وشبه القارة الهندية .

وعمل البابا يوحنا للسلم كذلك حين اقدم على خطوة عظيمة لتحطيم الجليد المتكسد على العلاقات بين الكنيسة وانظمة الحكم الشيوعية ، دفعاً للمزيد من اضهاد الدين وسعيًا الى اختصار الشقة ما امكن اختصارها ...

### من كلمة الاستاذ سليم نصار

لقد كان يختصر بأعماله شعارات العصر فيطورها الى مستوى المراكب الطائرة ، لتحل على الارض سلاماً دائماً . وعندما وصلت صلواته الى سمع خروتشيف طير له برفية تهنئة بعيده الثمانين ، طالباً منه ان يمنح البركة ويخص بالسلام جميع نزلاء الارض .

ورد عليه سيد الفاتيكان شاكرآ ، قائلاً : « ثق بانني سأصلي ايضاً للشعب في الاتحاد السوفياتي » .

حتى هذا المدى بلغ المدّ الثوري الكنائسي في عهده القصير . وكان مدأً عقوبياً طبيعياً ارتجله بالطيبة والمحبة كما ارتجل سلوكه الشخصي . فقد سئل مرة اثر انتهاء المؤتمر المسكوني : والآن ... ماذا تود ان تفعل ؟

واجاب على الفور : سأقضي يوماً كاملاً مع اشقائي احرت الارض في المزرعة .

وكان بهذا الجواب يدل على ارتباطه الوثيق بعباء الارض واخلاصه للبساطة والاشياء الحقيقية في الانسان . فقد تلمس طريق نكران الذات من عتبة القصر الذي كان يمثل ٩٠٠ مليون نسمة ، لينتقل الى الحقل بجرات لا بصولجان .

لقد كان مؤمناً بان الانسان لا يجيا بالحيز وحده ...

وكان مؤمناً بان مستقبل الانسان لا تحميه القنابل وحدها ...

وكان مؤمناً بان الكنيسة الرومانية يجب ان تكون اكثر كنائسية

واقبل رومانية . ولهذا انطلق بها وراء الحدود وخلف الآفاق وتركها تشرق في كل مكان على الارض .

### من كلمة الرئيس احمد الداوق

لو لم تكن هناك قاعدة تقول بأن لا كمال في انسان ، لقلت ، وكلامي يقين ، ان قداسة البابا يوحنا الثالث والعشرين هو الانسان الكامل .

انساني فوق ما يتصور الانسان ، لطيف المعشر خفيف الروح حاضر النكته .

اما لجهة السلام العالمي ، فقد كان يسعى لتحقيقه يوم كان في فرنسا ، فليست اذن جديدة مساعيه بعدما تسلم سدة بطرس .

الى جانب هذا كله ، كان يكاد لا يعرف الصمت اثناء اجتماعاته ، ولكن لا كغيره من المحدثين :

عظات وحكم تتدفق سيلاً على لسانه ، كلها ذات قيم انسانية كبيرة .

كانت اتصالاتي معه قديمة ، اي منذ عام ١٩٤٤ يوم تعرفت اليه ، وقد اعترف الفاتيكان باستقلال لبنان بواسطته ، وكافناه بالسعي لدى الكرسي الرسولي ليكون السفير البابوي العتيد متفهماً لواقع لبنان واستقلال لبنان الحديث آنذاك ، فقبل الوساطة دون تردد وعمل حتى كان للبنان ما اراد في هذا الحقل ، ولم تنقطع صلتني به طيلة الثانية اعوام التي قضاها في باريس .

\*\*\*

لقد كان من حسن حظي اني تشرفت بمقابله مرتين بصورة رسمية بعد تسلمه خلافة بطرس :

الاولى للتهنئة بعيد مولده الثاني والثمانين .

والثانية كانت في هذا العام المهمة سياسية ، وقد دام لقاءنا به مدة

ساعة كاملة ، كان لنا منها حديث لمدة عشر دقائق ، بينما تحدث قداسته طيلة خمسين دقيقة مبدياً تفهمه لواقع طلبنا ، قبل عرضه عليه . وكان بين قداسته وبيننا توافق تام !!

وكان في اللقائين ، الاول والثاني ، يستعيد ذكرياته معنا في باريس ، كما كان يبدو ، من خلال حديثه ، حبه للبنان واللبنانيين دون تفرقة ، وبصورة عفوية لا اثر فيها للتصنع ، وقد ردد امامنا في كل من اللقائين تاريخ حياته المتواضع . ولقد شعرنا ، رفاقي وانا ، بروح الابوة تنبعث من احاديثه لتلفنا جميعاً دون تفرقة .

### من كلمة الاستاذ رفيق المعلوف

من روما الخالدة ، من عرش السيد المسيح ، ومن بطريكية المسكونة الاولى ، هتف يوحنا الثالث والعشرون بأذان الامم المرهوبة ، هتاف الانسانية المتعبة من شد اعصابها وتوتر نفوسها ، فارجف الممالك والدول ، وفتح ابواب الضمير على القابعين في غرف الموت الاسود ، يعملون على تحقيق الغلبة حتى ولو على اسلاء البشرية بأسرها .

اربعة اعوام قضاها انجيلو جوسبه رونكالي « بابا السلام » و « بابا الشعب » ، في العمل الدائب لتحرير الكنيسة من رواسب الخلفية والجمود ، وتحرير العالم من جنون المغامرة السائرة به الى حيث لا يدري ...

لقد عقد المجمع المسكوني ، واعاد الطوائف المسيحية جميعاً الى حظيرة روما ، واسهم في اعادة الهدوء الى العالم خلال ازمة كوبا ، ووجه رسائل عديدة تتعلق بالسلام ، واعاد الحوار بين الكنيسة والعالم الشيوعي ، ورفع عدد الكرادلة بنسبة تحرر الامم وازدياد المؤمنين بالمسيحية في الارض ، وكان اسمه مرادف الحمد والثناء على السنة الملوك والرؤساء جميعاً ، والرؤساء الروحيين من بطاركة روسيا

الى اساقفة كانتربري الى ايمة المسامين الى جميع رؤساء الملل والطوائف والاديان .

ففي هذا اليوم نتوجه نحن اللبنانيين جميعاً - وقد رعانا قداسة الراحل الكبير ورعى لبنان الخالد بعينه الساهرة المؤمنة - نتوجه الى الله سائلين له الرحمة والخلود في جوار امراء الكنيسة العظاء ، آمليين ان يخلفه على رأس الصخرة الرسولية من يحقق رسالته في وحدة المسيحية وتقارب الامم والدعوة للسلام .

٤ - من الاصداء العالمية

بيان رئيس الجمعية العمومية للامم المتحدة محمد ظفرالله خان

كان نبأ وفاة قداسة البابا يوحنا الثالث والعشرين صدمة كبيرة ، رغم انها كانت متوقعة خلال الايام القليلة الماضية .

ان العالم باجمعه سيجزن على قداسته ، ليس لانه امير عظيم من امراء الكنيسة الكاثوليكية فحسب ، بل لانه كان انسانياً عظيماً يضع خير الانسان العادي قريباً جداً من قلبه .

وكان لدى قداسته تقدير عميق للحاجات البشرية ، بفضل صفاته العظيمة العقلية والقلبية ، وخاصة بساطته وطيبته وتواضعه .

ورغم ان عهده في السدة الرسولية كان قصيراً ، فقد افسح له اسهامه في بعث الكنيسة الروحية والقيم الاخلاقية والروحية في الحياة البشرية مكاناً عظيماً في التاريخ .

ان رحيل قداسته خسارة مفاجئة يظهر اثرها في مختلف ميادين الحياة .

بيان اوثانت الامين العام للأمم المتحدة

امس انتهت حياة رجل من انبل الرجال واصدقهم واخلصهم ،

واكثرهم اندفاعاً لخدمة الانسانية والسلام ، امس انتهت حياة جمعت  
لصاحبها افضل الصفات التي يمكن ان تتوافر لانسان .

ان وفاة قداسة الأب كانت خسارة فادحة واليبة ، كما انها جاءت  
في الوقت الذي كانت فيه الانسانية بامس الحاجة الى جهود قداسته  
والى اخلاصه والى تقانيه ، من اجل خدمة الانسانية والسلام ؛  
ان الالم كان كبيراً وخاصة بالنسبة لاولئك الذين كانوا يرون في  
قداسته رمزاً للمحبة والوفاء ، ورمزاً للسلام والتفاهم بين الامم والشعوب .

وعلى الرغم من ان قداسته كان زعيم الكنيسة الكاثوليكية ، فانه  
بدعوته الى « السلام على الارض » قد خاطب قلوب جميع الرجال ،  
اولئك الرجال الذين يتمسكون بحق الشخص في العيش بكرامة ،  
ولقد كانت دعوته هذه مسكونية حقة ذات معنى عميق ونبيل .

ان التاريخ لا يذكر الا القليل من الشواهد على تعلق الناس  
بشخص فرد ، لكنه يذكر الكثير من الشواهد على تعلق البشرية  
بقداسة البابا يوحنا الثالث والعشرين ، ومحبتها له التي لا نهاية لها .

### من كلمة فضيلة شيخ الازهر

ان البابا يوحنا عاش لاجل قومه ، وقد وضع الاسس التي يمكن  
ان يبني السلام العالمي عليها .

لنأمل بان يتكرر مثاله في المستقبل القريب .

### من كلمة المونسنيور جوفري فيشر

وقال الدكتور جوفري فيشر ، الذي كان اول رئيس اساقفة  
لكانتربري يزور البابا :

« لقد اثار هذا الرجل العظيم الطيب حياة جديدة في المسيحية لن  
تزل ، وازاء شمة جديدة لن تنطفئ . وفي اللحظة التي نفقده  
فيها نشكر الله على النعمة التي حصلنا عليها بواسطته . »

## من تعليق مجلة البرافدا

ان البابا كان نصيراً قوياً للسلام بين جميع الشعوب ، ومدركاً مدى الكارثة الرهيبة التي ستحل بالانسانية في حالة وقوع حرب حرارية - نووية .

ان البابا يوحنا كان قد قال في رسالته الحبرية المتعلقة بالسلام ، ليس هنالك اي نوع من العقبات يحول دون التعاون بين المؤمنين وغير المؤمنين ، في قضية الدفاع عن السلم .

ان المدة التي اعتلى البابا يوحنا خلالها السدة الرسولية تميزت بنشاطه المثمر من اجل تدعيم السلام والتعاون بين الشعوب .

## من كلمة الرئيس جون كندي

ان حكمة البابا يوحنا الثالث والعشرين وحنانه وقوته العظيمة ، تركت للانسانية تراثاً جديداً من القصد والشجاعة من اجل المستقبل . ان وفاة البابا خلقت عطفاً وتفهماً انبثقا من خبرة واسعة لادق المشاكل في عصر عصفت به الفوضى .

## من كلمة الرئيس شارل ديغول

لقد علمت بتأثير بالغ بوفاة قداسة البابا يوحنا الثالث والعشرين ، وشعب فرنسا يشعر بحزن عميق لوفاة حبر وقف المدة التي اعتلى فيها السدة الرسولية ، على السلام بين الناس وعلى التوفيق بين المسيحيين .

## من كلمة رئيس جمهورية الهند

وقال الدكتور سارفاوالي راداكريشنان رئيس جمهورية الهند ، ان البابا يوحنا كان خادماً عظيماً لله وللبنسرية ، وعمل من اجل التوفيق في العالم .

### من كلمة الملكة اليزابيث

وفي لندن ، قالت الملكة اليزابيث انها وزوجها الامير فيليب تلقيا نبأ وفاة البابا يوحنا الثالث والعشرين باسف وحزن عميقين .  
وقالت رسالة الملكة : ان صاحبة الجلالة قدرت كثيراً العطف الذي كان يديه قداسته نحوها ونحو رعيتها .

وقال الدكتور مايكل رامزي رئيس اساقفة كانتربوري : انني حزين جداً لنبأ وفاة البابا يوحنا ، وانني اشعر بالاسى مع اعضاء الكنيسة الكاثوليكية في كل مكان . ولا شك في ان الحزن يجيم على العالم المسيحي باسره لوفاة زعيم مسيحي عظيم .

### من كلمة الاستاذ اليكسي ادجوي

وقال اليكسي ادجوي ، صهر رئيس الوزراء السوفياتي خروشوف ورئيس تحرير صحيفة ازفستيا :

كان البابا يوحنا يسعى الى سد الثغرة بين مختلف الكنائس المسيحية ، كما كان يدعو الى السلام العالمي ... لقد فقد العالم رجلاً عظيماً بوفاته .

ومعلوم ان ادجوي وزوجته رادا ، ابنة خروشوف ، قد قابلا قداسة البابا في اذار الماضي .

### من كلمة الاستاذ صلاح الدين البيطار رئيس الوزارة السورية

لقد عمل البابا دوماً في سبيل اقامة السلام بين البشر ، كما انه في كل الظروف كان يساند قضية العرب والانسانية .

ميزات المطور : بلغ مجموع ما هطل من المطر لغاية ١٠ حزيران ١٩٦٣  
٩٣ سنتمترأ مقابل ٦٦ سنتمترأ من التاريخ نفسه سنة ١٩٦٢



## جولة في المكتيب

منشورات دار المعارف لبنان ( مؤسسة بدران )

- المكتبة الشعبية : وادي الموت – تأليف ايفان ايفانس
- الفرسان الثلاثة ( ١ ، ٢ ) – تأليف  
الكسندر دوماس
- الكونت دي مونت كويستو –  
تأليف الكسندر دوماس

هي سلسلة جميلة ، انيقة الطبع ، تقابل سلسلة كتب الجيب الفرنسية ، بدأت دار المعارف في لبنان باصدارها ، وتقوم بتكميلها مؤسسة بدران للطباعة والنشر والتوزيع .

والحلقات الاربع الاولى من هذه السلسلة ، هي موجزات لطولات مشهورة في الادب العالمي ، تصلح لمطالعة الشبان بانثائها الرشيقة ، وحوادثها المثيرة الماتمة ، وجوها السليم البعيد عن كل المهارات الخلقية والمغامرات الاباحية .

ولذلك فهي خليفة بأن تحتل رفوف مكاتب البيوت والمدارس وبأن تضي على حياة شباننا وشاباتنا جواً من المتعة والثقافة ومن التسلية المفيدة البريئة .

منشورات دار المعلم للملايين

- الحقيقة ولدت في المنفى – تأليف فنتيلا هوريا – ترجمة ابراهيم الحلو

اثر هذا الكتاب ضجة كبرى . فقد نال جائزة « غونكور » الشهيرة ، لكن اللجنة التحكيمية عادت فعدلت عن قرارها ، بسبب ما اشاعته صحافة محبة للشكوك عن ماضي المؤلف ، ومواضيع له عفاها النسيان يشتم منها تحالف مع النازيين في عداوتهم للساميين .

موضوع الكتاب اواخر ايام اوفيد الشاعر اللاتيني الاثيني . فان الامبراطور اغسطس اقضاه لاسباب لا تزال غير معلومة بالاكيد . وفي المنفى حيث الاحساس بالغربة والانفصال يأخذ اوفيد يفكر في ماضيه ويتأمل في حياته وفي الحياة مجردة ، ومن خلال هذه اليوميات تمثل امامنا صورة امينة لرومة القرن الاول ، وقد اخذت بالتفكك والانحلال . ومع اقتراب الموت ، بعد انتهاء زمن الشباب والحب ، يتجرد اوفيد الشيخ عن اوهامه ، فيصفو ذهنه وترق نفسه ، ويأخذ يتوق الى الخلاص ، وقد شاعت انباء غريبة عن طفل ولد في بيت لحم . ترى ايكون هذا تحقيقاً لأمل اوفيد ؟

الكتاب من المستوى الرفيع ، فيه شعر ، وفيه شعور ، وفيه صفحات بديمة رائعة . كتاب جدير بالقراءة .

## منشورات دار مجلة شعر

### ● قصص ، لوليد اخلاصي

وليد اخلاصي كاتب سوري ، شق لنفسه بهذه الباكورة طريقاً في القصة القصيرة ، يختلف عن الطارق المألوفة في العربية : طريق الغرابة الشفافة ، والاحاسيس الطفولية ، والاحلام الضاحكة . واسلوبه الحي عفوي ، خفيف الظل . يتدفق بغنائية رشيقة تمنحه طعم الشعر وتفرد له في ادبنا الجديد مكاناً يطل منه على المستقبل .

انه في « قصص » يجيب عن مسألة طالما شغلت البال : هل يمكن تكوين قصة صغيرة ، او حكاية ، من لاشيء ؟ هل يمكن الاستغناء عن التأثيرات الباهظة ، وبناء عالم متكامل على الطرافة والتفاصيل ؟

### ● « قصائد أولى » لادونيس

#### طبعة ثانية منقحة ومزودة

صدرت عن دار مجلة شعر والمكتبة المصرية الطبعة الثانية من ديوان « قصائد اولى » للشاعر ادونيس ، وهي منقحة ، ومضاف اليها قصائد جديدة .

والطبعة الاولى صدرت عام ١٩٥٧ ، بالمقدمة الموجزة الآتية ليوسف الخال :

« تقدم مجلة شعر هذه القصائد الاولى « لادونيس » علي احمد سعيد ، وهي في ذلك تحقق احد اهدافها الرامية الى احتضان حركة الشعر المعاصر في العالم العربي ، ونشر نتائج شعرائها الحامل بذور شعر حديث يعي مشاكل العصر الحديث ويعبر عنها باشكال فنية جديدة تسجهم مع مضامينها الجديدة .

في هذه القصائد يجد القارئ مثل هذه البذور ، يجدها فيا انطوت عليه من نظرة

جديدة الى الحياة والاشياء وتجاوز للاشكال الشعرية العربية التقليدية في التعبير عنها . هذه النظرة الجديدة تنبثق ، بالضرورة ، من تجربة كيانية وادراك للتراث الحضاري في بلادنا وفي العالم . هنا تكمن قيمة شعر هذه المجموعة وكل شعر . اما تجاوز الاشكال التقليدية الى اشكال ابداعية جديدة فتفرضها ، بالضرورة ، هذه النظرة وهي تتغير مع روح العصر ، فتتغير بذلك اشكال التعبير عنها . اذن ، لاقداسة للشكل ، ولا حد للابداع فيه . هكذا يدخل الشعر العربي في مرحلته الحديثة ، مرحلة شعر حديث لانسان حديث ، يمينا في عالم عربي حديث .

يقع الديوان في ١٣٧ صفحة وبيع بثلاث ليرات لبنانية .

### ● « اللصوص » ... آخر رواية لوليم فولكنر !

تفردت دار مجلة شعر والمكتبة العصرية بالحصول على حق نشر رواية « اللصوص » لوليم فولكنر بالعربية . وقد صدرت الرواية عن الدار هذا الاسبوع في طبعة جميلة وانيقة . و « اللصوص » آخر رواية للروائي العالمي الكبير ، وقد نشرت بالاميركية بعد وفاته . وهي من أروع ما جادت به عبقريته .

يعتبر وليم فولكنر أحد الروائيين الخمسة الكبار في تاريخ الادب الاميركي ، بل هو احد كبار الروائيين في تاريخ الادب العالمي . واعترافا له بهذه المكانة ، منح جائزة نوبل للآداب .

ولد عام ١٨٩٧ في ولاية مسيسي بالولايات المتحدة الاميركية ، وتوفي عام ١٩٦٢ . نقلت رواية « اللصوص » الى العربية الكاتبة الكبيرة خالدة سعيد ، بترجمة كاملة صادقة يجد فيها القارئ المتمة والفائدة اللتين لا يجدهما الا في روائع الكتب .

### ● مسرحية « بابل » لانطوان معلوف الفائزة بجائزة المسرحية لجمعية اصدقاء الكتاب

تقوم في لبنان نهضة مسرحية مباركة تعيد وصل ما انقطع من الحيط الذي بدأ اللبنانيون نسجه قبل مئة عام .

وامس صدر عن دار مجلة شعر مسرحية بعنوان « بابل » ، للكاتب اللبناني انطوان معلوف . وقد فازت « بابل » بجائزة المسرحية لجمعية اصدقاء الكتاب عام ١٩٦٢ . وكان انطوان معلوف قد نال الجائزة نفسها عام ١٩٦١ عن مسرحيته « البعل » .

واسم انطوان معلوف اقترن بالمرح البباني منذ ان بدأ في لبنان السمي الحديث لخلق نهضة مسرحية جديدة . ويأتي صاحب « بابل » في طليعة العاملين لتلك النهضة . أما « بابل » فليدت أثراً ادبياً لامعاً فحسب ، بل هي عمل مسرحي فاضح ، واحد الاعمال المسرحية اللبنانية القليلة التي تصلح للتمثيل .

تقع « بابل » في فصلين ، وفي ١٤٢ صفحة من القطع الصغير ، وتباع بليرتين .

### ● « انا احيا » لليلى بعلبكي ، ينزل الى الاسواق بطبعة ثانية منقحة

لم تعد الادبية ليلي بعلبكي بحاجة الى تعريف . والآنة بعلبكي واحدة من القلة القليلة بين ادبائنا الذين يتهافت القراء على قراءتهم بلذة واهتمام .

يدل على ذلك ان روايتها الاولى ، « انا احيا » ، نفذت من الاسواق العربية بعد شهرين من صدورها .

لذلك قامت دار مجلة شعر ، ناشرة الرواية ، باعادة طبع « انا احيا » طبعة ثانية منقحة بالاشتراك مع المكتبة المصرية ، وقام الفنان الياس عوض بتزيين الغلاف برسم تجريدي مستوحى من الرواية .

و « انا احيا » قصة صراع فتاة لبنانية ثائرة ، مع محيطها العائلي والجامعي والمهني والفكري ، كتبت بأسلوب يكفي وحده ، كما قال ميخائيل نعيمة ، لان يحمل لكتاب « انا احيا » قيمة ليست لاي كتاب غيره في الأدب العربي - قديمه وحديثه .

ومما لا ريب فيه ان من فاتتهم قراءة هذه الرواية عند صدورها للمرة الاولى عام ١٩٥٨ سيغتنمون فرصة صدور الطبعة الثانية ليسارعوا الى اقتناء نسختهم منها . فقد اطلق هذا الكتاب اتجاهاً جديداً في كتابة القصة العربية المعاصرة ، اصبح فيه الانسان هو الموضوع الاول ، وتجربته الكيانية هي المعطى الفني الوحيد . فلا عجب ان يفوز بهذا التقدير عند القارئ العربي ، وان يثير ما اثاره من حركة وجدل . ولا عجب ايضاً ان يترجم الى الفرنسية وينشر في باريس ، وان يكون في طريقه الى النشر بلغات اخرى .

انتظروا كلمة الرسالة عن باقي الكتب في الاعداد المقبلة .  
وتشكر ادارة المجلة لاصحاب دور النشر تلتفهم واهداءهم اليها منشوراتها ، داعية لها بالرواج المطلوب .

## وكلاء الرسالة

بيروت وصيدا وزحلة : السيد  
انطوان عصفور

صور : السيد كامل سعاده

مشغرة والجوار : السيد جورج  
طرابلسي

ابلح والجوار : الاب نقولا  
كناكري ب م

دمشق والجوار : الاب جورج  
غبريل ب م

حلب : الخوري بطرس جحا

القاهرة : الاب اغناطيوس رعد

الاسكندرية : الاب حبيب  
كويتر ب م

عمان : السيد يوسف اسعد سمعان

بقية الاردن : الاب ميشال

حبيب ب م

الحرطوم : الارشمندريت

كيولس حجار

بغداد : الاستاذ يوسف يعقوب

مسكوني

اميركا الشمالية والجنوبية :

Mr. John Courey  
20201 Redfern Ave .  
Detroit 19 . Mich . U . S . A  
Rev . Simon Hage B . S .  
Saint Ann's Church  
7 Connecticut Ave .  
New — London , Conn . U.S.A.

## الرسالة المخلصية

مجلة شهرية تصدر عن دير المخلص

### الادارة

الاب سمعان نصر ب م

دير المخلص - قرب صيدا تلفون ٧٢٠٤٤٠

او بيروت - الوكالة المخلصية - شارع المخلصية

تلفون ٢٣٣٢٢٨

### الاشتراك

٦ ل. ل. في لبنان

٨ ل. س. في سورية

جنيه او دينار في بقية البلاد العربية

٥ دولارات في اوروبا واميركا وافريقيا

٢٥ ل. ل. للدوائر والشركات

### الاعلان

تقبل الاعلانات على صفحات المجلة

بعد سابق اتفاق مع الادارة

يطبع من الرسالة المخلصية ٢٤٠٠ نسخة شهرية

### ترسل الرسالة المخلصية

الى البلدان التالية :

الارجنتين المانيا انكلترا ايطاليا البرازيل  
تركيا السنغال السودان سوريا سويسرا  
العراق فرنسا فنزولا كندا لبنان  
ليبيريا مراکش المكسيك مصر  
المملكة الاردنية الهاشمية الولايات المتحدة

## المحتويات

صفحة	المؤلف	الموضوع
٠٠٠	الدكتور الاب بشارة صارجي الخالصي	هذا البابا الاعجوبة
٣٢٩	الاب سمعان نصر ب م	متى يستريح العالم؟
٣٣٤	نسيب طرييه	المواطن المسؤول
٣٤٢	انطوان مملوف	ثلاثة ايام ( قصة )
٣٤٩	نجيب مخول	حي وعالم المشاهدة
٣٦٥	الاب اتيان حداد ب م	هل نحن في طريق الوحدة؟
٣٧٠	يوسف حيي	التمييز المنصري في ميزان العلم والواقع
٣٨٨	ميلاد نجمة	الأرض الحمراء ( قصة )
٣٩٢	يوحنا فريجات	حصار بلقنا
٣٩٧	لحد خاطر	لبنان والفاثيكان
٤٠٥	عيسى ميخائيل سابا	اسطورة عليون وزوجه واولاده
٤١٠	عبد اللطيف شرارة	اصول الثقافة البشرية
٤١٥	الاخت ليوني نكد	من وحي الطفولة
٤١٨	جوزف نعمة	آثار دير القمر
٤٢٥	نقولا ابو خليل	شعر : الاله الصغير
٤٢٧	ادونيس	ما اصغر الدنيا
٤٢٨	الياس عيد	ذكريات
٤٢٩	قري	سراب
٤٣٠	فؤاد الخوري	الى فيروز
٤٣١	احمد سليمان ظاهر	امل
٤٣٢	الاب اتناز نصر ب م	من طرائف الصحف والمجلات
٤٤٠	...	بابا السلام والوحدة في ذمة الله
٤٥٩	...	جولة في المكاتب



Chateau Musar

موزار نبيذ فاخر

جادة الافرنسيين ، ١٢٨  
الهاتف ٢٣٢١١١ - بيروت





التوتوالزرايعي للشرق

فؤاد سعادة وشركاه - بيروت  
إم رقم ١٤٠١٤

# مؤسسة أ. بدران وشركاه

بناية العسيلي - شارع السور - ص. ب. ٢٦٧٦ - بيروت - لبنان

تقدم للقارئ العربي في سلاسلها الشعبية أشهر قصص ومغامرات برديان  
تأليف ميشال زيفاكو، فلا تتأخروا في ضمها إلى مجموعة كتب المطالعة  
في مكتبكم المنزلية، فانها تسلي الكبار والصغار وتوفد عن نفوس الجميع



تطلب من جميع المكتبات الشهرية  
نسخة • • أ. د. ل. أو ما يعادلها